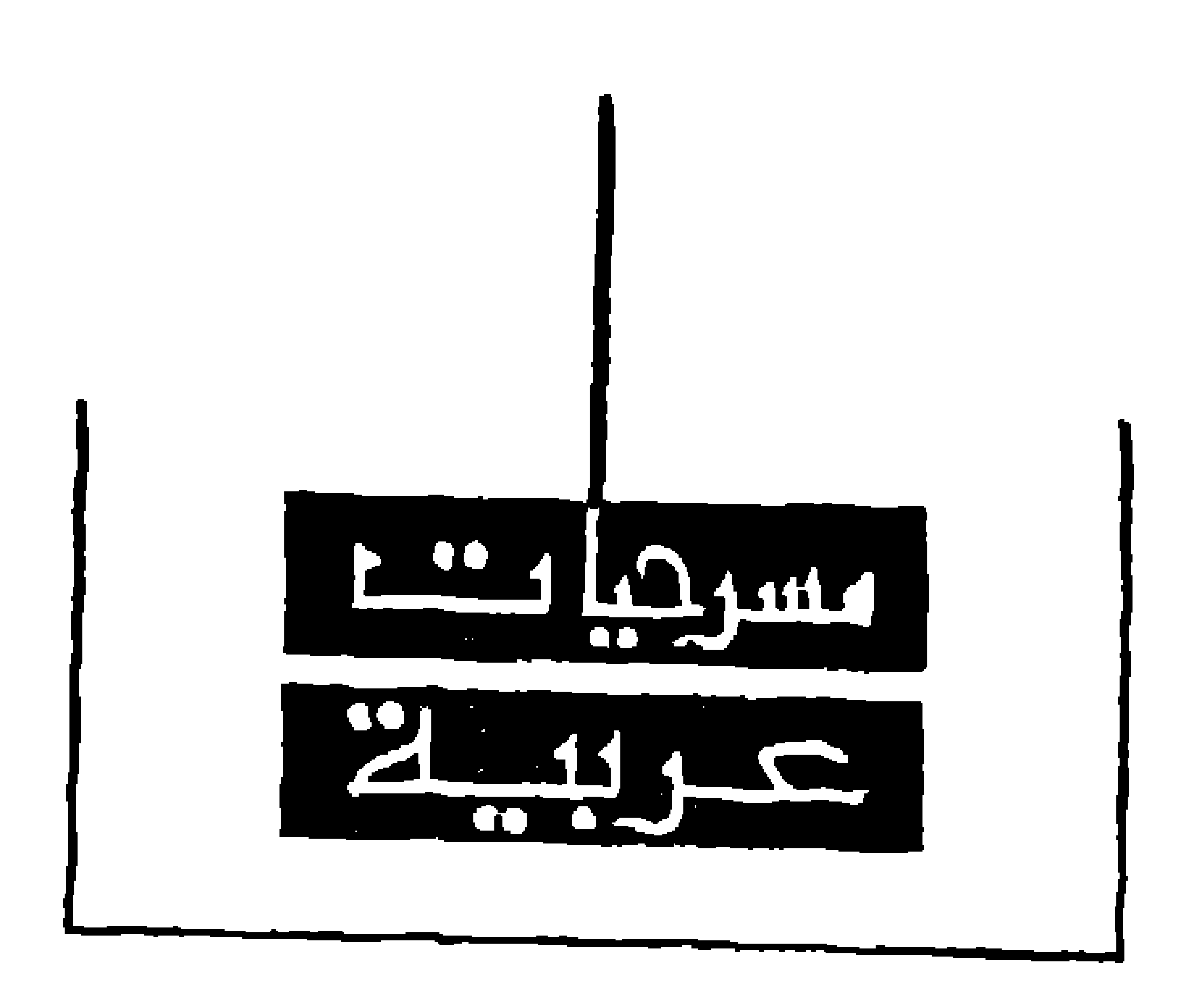
دائرة الانتقام

ثلاث مسرحيات

بقلم
الكاتب الجزائرى
كاتب ياسين

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
القاهرة - ١٩٦٧



وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

بإشراف
الدكتور رشاد رشدي

سكرتير التحرير
فاروق عبد الوهاب

مسرحيات عربية ٥

شهرية

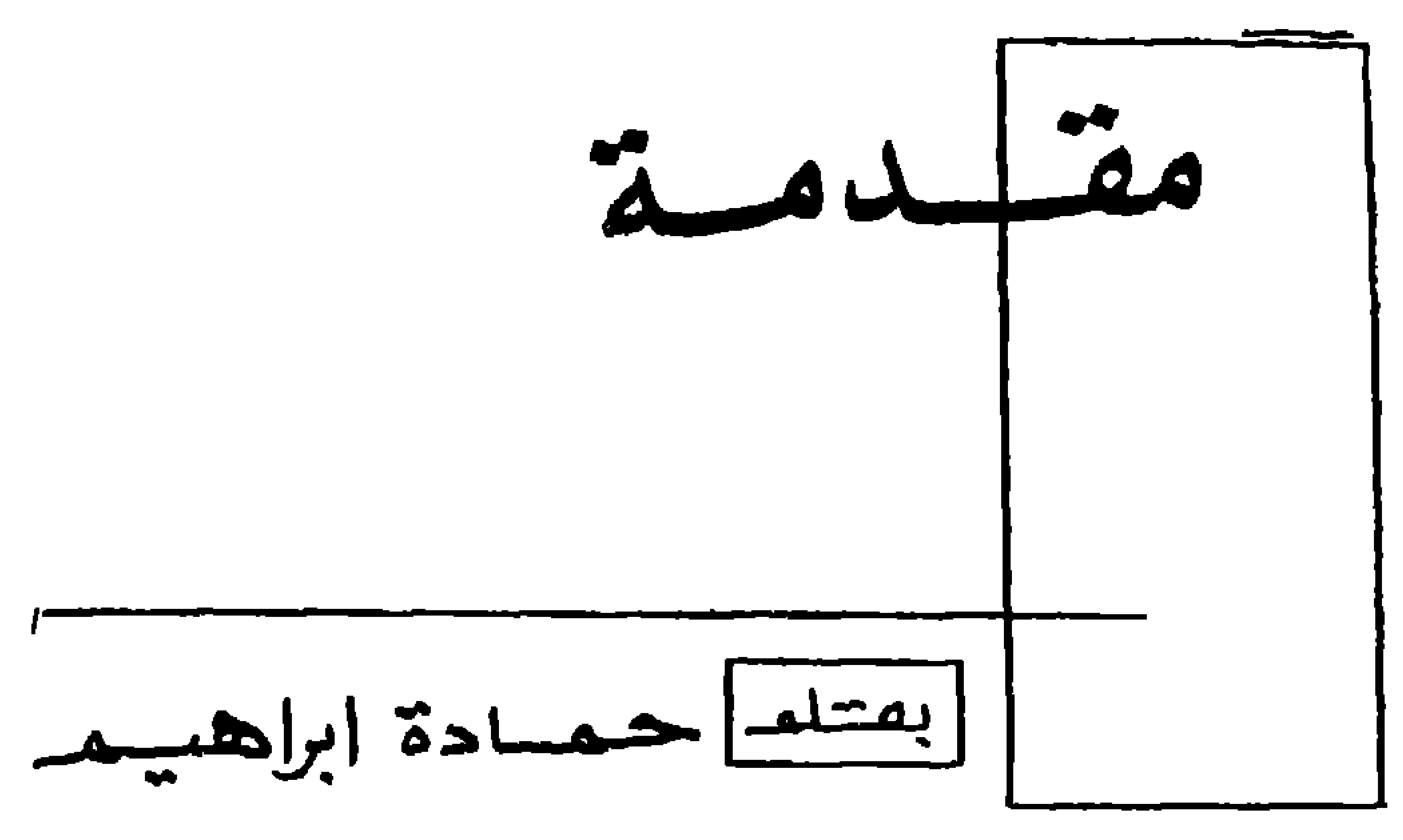
ديسمبر ١٩٦٧

دائرة الانتقام

- الأسلاف يضاعفون ضراوتهم
- مسحوق الذكاء
- الجثة المطوقة

كاتب ياسين

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
القاهرة – ١٩٦٧ (إهـ



لا يمكن لأى دارس يتعرض لكاتب ياسين أن يعزله عن الثقافة الغربية ، كما لا يمكن له أيضا أن يقتلعه من الأرض الافريقية الاسلامية ، فلا مناص اذن ونحن نتناول هذا الكاتب أن نسير فى خطين اثنين : خط الأصل (وهو الخط الافريقى العربى المسلم) وخط الثقافة وهو الخط الغربى الفرنسى .

وقد يخفى على الكثيرين أن اللغة الفرنسية لغة تعبير وأدب ، ليس فقط فى فرنسا وانما فى كثير من بلدان العالم المختلفة نذكر منها : سويسرا وبلچيكا وكندا ولويزيانا وهاييتى وشمال افريقيا وافريقيا السوداء والمحيط الهندى .

وفيما يتعلق بافريقيا فلقد اعتاد المؤرخون للأدب الفرنسى أن ينظروا الى هذه القارة من الزاوية الاستعمارية ، فهم اذ يتناولون آدابها المكتوبة باللغة الفرنسية لا يفرقون كثيرا بين الكتاب الفرنسيين وبين غيرهم من كتاب ما وراء البحر ، وحجتهم فى هذا الخلط هو أنه اذا كانت آداب هذه المناطق تختلف فيما بينها (١) واذا كانت شعوبها تتباين فى أجناسها (٢)

(١) من أدب بدائى الى أدب اسلامى عريق .

(٢) من ساميين الى زنوج الى هوفاس .

واذا كانت تضاريسها تتمايز من منطقة الى أخرى (١) ، فان اللغة الفرنسية فى نظرهم تمثل الرابطة الوحيدة التى تجمع بين هذه البلدان .

ولقد مر الأدب فى شمال افريقيا بثلاث مراحل متباينة . فقد كانت هذه المناطق فى بادىء الأمر لا تعـــدو بالنسبة للفرنسيين ســوى شىء غريب أو أجنبى « l'exotisme » جلبــه الى فرنسا الرحالة الذين كانوا يذهبون الى هذه المناطق ويعودون الى وطنهم فيسجلون خواطرهم عن هذه الرحلات ويتحدثون الى ذويهم عما جذب اهتمامهم فى تلك الأقطار .

ثم أعقب ذلك مرحلة « الأدب الاستعمارى » بمعنى الكلمة ، وهو الأدب الذى يعالج بصفة عامة العلاقات بين الأوربيين وبين الافريقيين وذلك من وجهة النظر الاوربية .

واخيرا استقر الكتاب فى هذه المناطق وبدءوا يعبرون عن السمات التى تميزها عن غيرها ثم انضم الى الفرنسيين الذين ولدوا أو استقروا فى هذه المناطق ، طائفة من الكتاب من أهل البلاد يعبرون باللغة الفرنسية عن ذوات نفوسهم وعن مشكلاتهم الخاصة ، وما يهمنا فى هذا المجال هو التحدث بشىء من التفصيل عن المرحلتين الأخيرتين وعن المرحلة الثالثة بوجه خاص .

كانت تغلب على شـــمال افريقيا بأسره سمتان مميزتان ومتلازمتان : الأصل الاسلامى من جهة ، والوجود الفرنسى من جهة اخرى . ونستطيع أن نقول انه باستثناء الزائرين والرحالة فان الكتاب فى هـــذه المناطق بدءوا يظهرون مع مطلع القرن العشرين . ونذكر منهم عـــلى سبيل المثال « البير فيرميه » Allert Fermé وكان طبيبــا يعمل فى « تلمســان » . وقد نشر

(١) من غابات استوائية الى صحراء .

فى عام ١٨٩٣ كتابا بعنوان « أقاصيص جزائرية » وفى عام ١٩٠٠ نشر رواية أسماها « البربر » . ونذكر كذلك من الكتاب فى هذه الفترة « ريمون ماريفال » Raymon Marival وقد وصف عادات القبائل فى روايتين صدرت أولهما عام ١٩٠١ تحت عنوان « لحم من ظل » Ghair d'Ombre ، والثانية عام ١٩٠٢ بعنوان Le Pop ، ومن هؤلاء الكتاب أيضا نذكر « صديق بن الأوتا » Seddih benel outa وهو كاتب مسلم ، « ف . باروكاند » V. Barrucand الذى كان يرأس تحرير جريدة « الأخبار » وهى جريدة فرنسية عربية .. ولقد جذبت الحياة الاسلامية فى شمال افريقيا كاتبة بوهيمية تدعى « ايزابيل ايبرهارت » Isabelle Eberhart كانت حياتها عبارة عن رواية غريبة حافلة بالمفاجآت والمغامرات ، وقد تبين لها أن الراحة النفسية التى يهيئها الدين الاسلامى لأصحابه هى أنجح دواء لما يعتمل فى نفسها من قلق واضطراب ، ولقد تركت هذه الكاتبة رواية بعنوان Trimardeur ، ومذكرات وانطباعات ضمنت لها الشهرة من بعد موتها .. وكذلك كان الرسام « ايتيين دينيه » Etienne Dinet الذى عاشر أهل هذه البلاد فعثر بينهم على النماذج الصالحة لفنه ، وكتب قصتهم ، واعتنق دينهم وقام بزيارة البيت الحرام ، ووصف رحلته هذه كما وصف حياة الرسول وذلك بمساعدة قصاص آخر يدعى سليمان بن ابراهيم .

واذا كان هؤلاء الكتاب قد اهتموا بالجانب الروحى عند سكان هذه المناطق ومالوا الى تصوير ما يتصفون به من دماثة فى الخلق ورقة فى الطباع ، فان « لوى بيرتراند » Louis Bertrand على النقيض من ذلك ، قد شغف بسكان المناطق النائية من أهل هذه البلاد ، واهتم بجانب القسوة واليأس وما يتميزون به من ميل للغزو والقتال .

ولقد كتب فيهم روايات منها « أصل الأجناس» Le Sang des-Races ، وذلك فى عـــام ١٨٩٩ ورواية « ســـينا » Cina ، ثم رواية « بيبيت وبلتزار » Pepet et Balthasar وفيها يصف قوتهم العضلية ويتحدث عن شمس افريقيا بنوع من الحسد .

ولقد كان « لوى بيرتراند » يتنبأ بامتزاج يتم بين شعوب هذه المناطق ويتولد عنه ما أسماه « شمال افريقيا اللاتينى » يبعث عصر الرومان بعد زوال دولتهم باثنى عشر قرنا .. وكان يفاخر بأنه أقام « افريقيا اللاتينية » على غرار « بارى » Barres الذى أقام « اللورين » وكان « جابرييل أوديد » Gabriel Audid يرى أن « لوى بيرتراند » و « كاجايو » Cagayous يمثـــلان أحد المصدرين اللذين ستتدفق منهما فى هذه البلاد مياه الأدب الواقعى .. فقد كانا بالاضافة الى أنهما يعبران عن هذه البلاد من الداخل ، يكتبان فى لغة « السابير » وهى خليط من اللغـــة العربية واللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية .

وهكذا تم الاعداد لعملية (التجزير الأدبى) أو صبغ الأدب بالصـــبغة الجزائرية وقد نشر « روبير راندو » Robert Randau الاعلان عن هذا الأدب الجديد عام ١٩٢٠ .. وكان هدف الكتاب الشبان هو التعبير عن افريقيا من الداخل وبطريقة واقعية نابذين فـكرة l'exotisme ، وأن تظل بلادهم فقـــط مادة لهـــذا النوع من الأدب وكان روبير راندو قد حقق ســـبقا فى هـــذا المضمار عندما حاول عام ١٨٩٦ ، بمساعدة « ساديا ليڤى » Sadia Lévy أن يكتب رواية عن حياة اليهود المغاربة .. ولقد اقتفى أثره فى ذلك كثير من الروائيين نذكر منهم « فرنسوا بونچون » François-Bonjean الذى برع فى تصوير الحياة فى المغرب بعد أن صـــور حياة الفلاح فى مصر .

ولقد تناول الشعراء أيضا هذا الجانب فى أشعارهم على طريقة البارناسيين القدماء ونذكر من هؤلاء الشعراء « ماريوس سكاليرى » Marius Scalesi ، وهو سليل بعض المهاجرين الصقليين والمالطيين الذين نزحوا الى تونس .. وقد كتب ديوانا بعنوان « قصائد ملعون » صور فيها حياته العاصفة بطريقة تنم عن شاعر عبقرى .

ثم تقدمت سبل المواصلات وازدادت فرص الاتصال بين فرنسا وهذه الأقطار فقصرت المسافات وضعفت أوجه الاختلاف وظهرت فى الجزائر مدرسة جديدة تعارض « التجزير » وترى هذه المدرسة على حد تعبير « جابرييل أوديزيو » أن الأدب الفرنسى يزدهر حيثما يوجد ، ولكن ليس هناك سوى أدب فرنسى سواء فى « جراس » أو فى اليابان أو فى بروكسيل أو فى الجزائر . ان « جابرييل أوديزيو » لم يولد فى الجزائر وانما ولد فى مارسيليا من أب ايطالى ، وهو يرى فى الجزائر التى اختارها وطنا له جزءا صغيرا من وطن كبير يحيط بالبحر الأبيض المتوسط ، وليس بين هذه الدعوة ودعوة « التلتين » التى كان يدعو لها « لوى بيرتراند » أية علاقة . ولقد ساهم فى نشر هذه الفكرة بعض المجلات التى كانت تستوعب مقالات الكتاب الشبان فى تلك الفترة ، ثم وقعت الحرب العالمية الثانية فقذفت الى افريقيا باللاجئين الذين نزحوا من الشوارع الفرنسية ومن الحى اللاتينى ، وبذلك نقلت ، الى حين ، عرش فرنسا الحرة الى افريقيا . وبعد ذلك عبرت طائفة الكتاب الشبان فى شمال افريقيا البحر الى فرنسا ويكفى أن نقرأ « عرش » أو « صيف » لكى نقدر مدى ما يدين به كاتب مثل « البير كامو » لمسقط رأسه الجزائر ، أو أن نتذكر بعض الأسماء مثل « ايمانويل روبليه » Emmanuel Robles و « چان أوريو » Jean Orieux

و « چول روا » Jule و « چان أمروش » Jean Amrouche لندرك مدى ما قدمته الجزائر للأدب الفرنسى فى تلك الفترة .

وكاد الأدب أن يندمج فى أدب فرنسا لو لم يكن عدد الكتاب من أهل البلاد قد ازداد فى السنين الأخيرة بصورة لا يمكن معها الا التسليم بما يقـــدمه الجزائريون من أدب متمايز عن أدب فرنسا ، ومن طبيعة أخرى غير الطبيعة الفرنسية ، على الرغم من اللغة الواحدة التى تجمع بين الأدبين .. ومن هؤلاء الكتاب الذين يعبرون عن الروح الجزائرية ويصورون كفاح هذه الأمــة وآمالها .. يمكن أن نذكر مولود فرعون الذى يروى قصة الطفولة المهينة والمشـــكلات التى تنشأ عن الزواج المختلط ، ثم مولود العـــامرى ، ومحمد ديب ، وادريس الشرايبى ، ومصطفى الأشرف ، وكاتب ياسين .

كان الجزائريون فى ظل الاستعمار الفرنسى يشعرون بأنهم عرب ويفخرون بذلك ، ومع هذا فكانوا لا يستطيعون ان يعبروا عن ذوات نفوسهم باللغة العربية التى ينتسبون الى أهلها .. وكانوا يدركون تماما أن اللغة التى يتحدثون بها ليست لغتهم ، ولم يكونوا مسئولين عن ذلك ، فلقد تعرضوا لعملية مسخ وتشويه ربما لم يتعرض لها شعب غيرهم .. ولقد كان الجزائرى أمام أمرين لا ثالث لهما : فاما أن يظل جاهلا بكل شىء ، واما أن يعرف كل شىء وبشرط أن يدخل المدارس الفرنسية ويتعلم لغةالاعداء مضحيا بلغته العربية ، وفى هذا الاختيار الاجبارى يقول « مالك حداد » الكاتب الجزائرى فى قصيدة تقطر بالألم وتفيض بالمرارة :

« أبى ... يا أبى

«لماذا حرمتنى تلك الموسيقى التى صيغت من لحمى ومن دمى

« انظر الى ، الى ابنك
« ابنك الذى علموه كيف يقول فى لغة غريبة
« تلك الكلمات الحلوة التى كان يعرفها عندما كان راعيا

* * *

« يا الهى ما أشد حلكة الظلام فى عينى هذه الليلة
أمـــاه
« هل يمكن أن يكون اسمك Ma Mère » .

ليكن ، فليتعلم الجزائريون لغة أعدائهم ما دامت هى الوسيلة الوحيدة التى تصلهم بالعالم .. وليتخذوا من لغة عدوهم ومن ثقافته سلاحا ضده .. ولتتحول السهام الى نحور من رموها .. ويؤكد كاتب ياسين الفصل بين اللغة التى يتحدثها الجزائريون وبين الروح التى يعبرون عنها فيقول :

« ان الأدب الجزائرى المكتوب باللغة الفرنسية أدب مستقل عن اللغة التى يعبر بها ، متخلص من روابطها العاطفية والعنصرية، فهو يعبر عن وضع معين وروح أصلية بها ملامح من حكمة الشعب الجزائرى وعزيمته الثورية المندفعة للقضاء على الأوضـــاع الاستعمارية الفاسدة ، واحلال أوضاع جديدة وبناءة محلها » .

ان الأدب الجزائرى يسير فى طريقين أو على الأصح يسير فى طريق ذى مرحلتين مرحلة هدم الماضى وما يتصل به من تخلف اجتماعى يتجلى فى الفقر ومشتقاته ، وتخلف سياسى عمـــاده الاستعمار وما يتضمن من مساوىء ، والمرحلة الثانية التى يسير فيها الأدب الجزائرى هى مرحلة ايجابية مؤداها فتح أبواب الأمـــل والاعـــداد لحياة جديدة يسودها التفاؤل والايمان بالمستقبل .. ولقد طرق الأدب الجزائرى موضوع الفقر وأفاض فى وصف ما يعانيه الشعب الجزائرى من جـــراء الانهيـــار الاقتصادى ، وحفل بصور البؤس الذى يعيش فيه الجزائريون وبخاصة فى الأحياء الوطنية .

وتتلخص مظاهر هذا الفقر فى قلة موارد الثروة فى أيدى المواطنين ، وانخفاض الدخول والأجور الى درجة يستحيل معها ضمان حياة كريمة للغالبية العظمى من المواطنين ، حتى ان عددا كبيرا منهم كان يضطر الى هجر البلاد والنزوح الى فرنسا طلبا للعمل ، وبحثا عن لقمة العيش .. وهناك لا يسمح لهم الا بممارسة انواع معينة من الأعمال ، ولا تتوافر لهم الرعاية الاجتمـــاعية أو الصحية لأنهم يجدون انفسهم مضطرين الى العمل المتواصل فى المناجم والمصانع والموانى وفى أعمال البناء ورصف الطـــرق وغيرها من الأعمال المتواضعة ، وذلك فى ظروف قاســـية ، متعرضين بذلك للأمراض والأخطار دونما رعاية من المسئولين أو عناية يكفلها القانون .. ولقد أبدع الكاتب الجزائرى « محمد ديب » فى تصوير هذه الأوضاع وذلك فى مجموعة قصص قصيرة أصدرها تحت عنوان « فى المقهى » فقد قدم لنا فى هذه المجموعة نماذج عديدة من الجزائريين الذين يعانون من قسوة الحيــاة ووطأة الفقر ويلاقون العنت والمشقة فى سبيل لقمة العيش .

واذا كان الفقر هو مصدر هذا البؤس والحرمان ، فان الفقر ما كان ليكون لولا الاستعمار الذى يجثم على البلاد .. ولقد تنبه الكتاب الجزائريون الى هذه الحقيقة ، وادركوا واجبهم فى مكافحة الاستعمار والنضال من أجل الاستقلال ، فانبرت أقلامهم تصور البؤس والشقاء على أنهما نتيجة طبيعية للاستعمار الفرنسى الذى ينهب خيرات الوطن ويسخر الطاقات لخدمته ، وكيف أن ازالة هذه الأوضاع أو تبديلها لا يمكن أن يتحقق الا بالقضاء على الداء نفسه .. وهكذا حفل الأدب الجزائرى بالأبطال الذين يضعون أيديهم على أسباب الداء .

فهذا محمد ديب فى احدى رواياته يصور مدى الاستغلال الذى تعرض له الشـــعب الجـــزائرى على ايدى القلة من المستعمرين فيقول :

« ان مستوطنا واحـدا من الفرنسيين يصبح مالكا لآلاف الهكتارات من الأرض ـ والمستوطنون جميعا فى هذا سواء .. ولقد نزحوا الى هذه البلاد وهم ينتعلون أحذية مثقوبة ، وهم يعلمون ذلك ، أما أهل البلاد فان أجسادهم تسيل عرقا وتقطر دما ، وهم يقومون بزراعة قطعة أرض صغيرة يتوارثونها جيلا بعد جيل » .

وعندما يدرك البطل ذلك فانه يثور ، وهذا هو « حميد » فى قصتى « البيت الكبير » و « الحريق » يعلن الثورة على هـذا الفساد ويتمرد على هذه الأوضاع ويتنقل بين القرى يحرض الفلاحين على الثورة والعصيان ويعرفهم بحقوقهم .. وهـذا « عكاشة » بطل آخر يلخص موقف الجزائريين فى عبارة قوية عندما يصرخ قائلا : « لقد القى بنا فى أسفل سافلين ، ولن نتمكن من العودة الى بشريتنا بالوسائل العادية ، فلسوف نضطر الى قلب العالم وارهابه .. لقد أهين شعبنا ، وسيخرج من هذا الشعب حدث جسيم » .

وفى قصة « الأرض المحرمة » يقتل الفرنسيون البطل لأنه تمرد عليهم وحاول فضحهم . ولكن هذا الظلم لا يزيد المواطنين الا عنادا وتصميما ، فيخرج من صفوفهم من يقول : « لقد قررنا ، نحن رجال الجيل ، أن تنتفض البلاد كلها وأن تصب جام غضبها على الغاصبين » . وفى قصة « صيد افريقى » يتحدى البطل الجنود الفرنسيين ويواجههم ببغضه ومقته : « اننى أمقتكم وأرجو أن تشهدوا مقتى لكم .. اننى أمقتكم وأزدريكم ، ان أسلحة العالم كله لا يمكن أن تنقذكم ، ان ابنى وسائر الأبناء فى هذا الوطن سيوارونكم التراب » .

ولكن هذا السخط والتمرد ابعد من أن يدرجاالأدبالجزائرى فى قائمة الأدب الأسود او ادب العبث ، أو أن يجراه الى دائرة

التشاؤم والقنوط .. ان الركيزة الثانية التى يقوم عليها هذا الأدب كما قدمنا هى الثقة فى مستقبل أكرم والأمل فى حيـــاة أفضل ، ذلك لأن التمرد فى الأدب الجزائرى ليس تمرد اليائس القانط ، وانما هو تمرد الثائر الذى يهدم من أجل البناء ويضحى من أجل الاصلاح .

ان البطل فى الأدب الجزائرى يلقى الصعاب ويعانى من الظلم والارهاب ، ولكنه يتغلب عليها جميعا ولو بالموت ، لأن الموت فى هذا الأدب ليس فناء أو نهاية وانما هو استمرار وبداية .. ان البطل عندما يموت فانما يترك من ورائه ذرية من الأبطال ، وهو بموته انما يلهب الثورة ويلقى فيها بالوقود فيضطرم أجيجها .

ان البطل فى قصة « الأرض المحرمة » يذكرنا « بكمال » فى ثلاثية نجيب محفوظ ، فقد قضى نحبه من فرط التعـــذيب والتنكيل كما لقى « كمال » حتفه من رصاصات الخونة ، لكنه قبل أن يموت كان قد بذر البـــذرة وترك وراءه من يخلفه فى النضال تماما مثل « الأخضر » فى الثلاثية : لقد قتل ولكن الستار يسدل فى المسرحية الأولى على « على » الطفل الذى يتناول غصن شجرة يصنع منها تيلة ليتعلم الرمى ويواصل ما بداه الأخضر .. ان النهايات فى هذا الأدب تذكرنا بنهاية مسرحية « ليالى الغضب » عندما يتقدم چان تاركا رسالته للأجيال القادمة :

« أما أنتم يا من ستواصلون الحياة من بعدنا لبضعة أعوام فقولوا لأطفالنا الذين سترونهم يكبرون ألا يساورهم اليأس من الحياة ، اذ أننا فى خضم صراعات هذا العصر أمكننا أن نعيش بأمانة وشرف » .

كاتب ياسين :

ولد كاتب ياســـين فى السادس والعشرين من أغسطس عـــام ١٩٢٩ فى مقاطعة كونديه ـ ســـــميندو من مقاطعات

قسطنطين .. وهو ينتسب الى احـــدى القبائل العريقة فى الأدب .. ودرس فى مدرسة « سيتيف » ، وكان الجزائريون ، كالمصريين وغيرهم من شعوب الأمة العربية ، قد ساعدوا دول الحلفاء فى حربها ضد الألمان . وقدم الجزائريون بصفة خاصـة لفرنسا ، بحكم وضعهم تحت سيطرة الاستعمار الفرنسى منــذ عام ١٨٣٠ ، مساعدة فعالة فى مقاومتها للنازية . فما أن وضعت الحرب أوزارها بانتصار الحلفاء ، حتى نهض الشعب الجزائرى يطالب الفرنسيين بالاستقلال أيفاء للدين وردا للجميل ، لكن فرنسا ماطلت وراوغت وأنكرت الدين وتنكرت الجميع ، فقام الشعب الجزائرى عن بكرة أبيه بمظاهرات دامية كان « كاتب ياسين » احدى شعلاتها ، ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره ، وعلى أثر المظاهرات الدامية الشهيرة التى قامت فى الثامن من مايو عام ١٩٤٥ ، تم القبض على « كاتب ياسين » وألقى به فى السجن ثم فصل من المدرسة .

وفى هذه السن كان كاتب ياسين قد أصدر أول ديوان له وكان بعنوان « مناجيات » ولكن الفصل من المدرسة والحرمان من مواصلة التعليم لم يقعده عن الكفاح ، بل لقد وجد الفرصة متاحة والوقت كافيا لمواصلة الدعوة الى النضال وذلك بالقــاء الخطب الحماسية فى الجماهير الثائرة ونظم الأشعار التى تلتهب بالوطنية .

وبعد ذلك سنحت له الفرصة للسفر الى فرنسا فعاش فى باريس بين العمال الجزائريين حياة الثائر المكافح والشـــاعر المناضل .

غير أن حياة باريس لم تستطع أن تعزله عن كفاح شعبه ، أو أن تقطع الصلة بينه وبين وطنه فعاد الى الجزائر وعمل محررا فى جريدة « الجزائر الجمهورية » ثم مراسلا صحفيا .. ولقد

قام بزيارة عدد كبير من بلدان المشرق منها السعودية والسودان وبلدان آسيا الوسطى . وفى خلال هذه الأثناء كان لا يكف عن نشر القصائد فى باريس وفى الجزائر .

وفى عام ١٩٥٠ توفى والده تاركا وراءه أسرة كبيرة العدد ، فاضطر كاتب ياسين للعودة الى الجزائر لحمل أعباء الأسرة ، وهجر مهنة الصحافة وعمل حمالا فى مرفأ الجزائر .

ثم اعقب ذلك فترة عطالة ، عاد على اثرها الى باريس وامتهن بعض الأعمال المتواضعة : فاشتغل عاملا زراعيا ، ثم عامل بناء ، ثم عمل فى تعبيد الطرق ، وبعد ذلك عمل مساعدا كهربيا وغير ذلك من الأعمال التى كان مسموحا بممارستها للجزائريين .

وبين عام ١٩٥٢ وعام ١٩٥٤ تمكن كاتب ياسين ، بمعاونة بعض الأصدقاء ، أن يكرس جل وقته للانتاج الأدبى ، وتعرف بالكتاب المشهورين وبدأ يكتب فى الصحف الحرة ، واستطاع فى تلك الأثناء أن يتم المؤلفات التى كان قد بدأها قبل ذلك . . وعندما قامت الثورة الجزائرية خرج كاتب ياسين وجعل يطوف بلدان العالم داعيا لقضية الوطن .

وفى عام ١٩٦١ حضر كاتب ياسين الى القاهرة عضـــوا فى مؤتمر كتاب آسيا وافريقيا . واجاب على سؤال وجه اليه بخصوص محل اقامته « أنا الآن فى القاهرة ، وبعد أيام سأكون فى الصين . . اننى أتجول فى ربوع العالم أدعو لقضية الوطن » .

وبالاضافة الى ديوان « مناجيات » الذى نظمه كاتب ياسين فى السادسة عشرة من عمره نذكر من أعمال كاتب ياســـين المؤلفات التالية :

نجمـــة (قصيدة)

نجمـــة (رواية)

دائرة الانتقام .

حرب المائة والثلاثين عاما .

نجمة فقدت الذاكرة .

المرأة المتوحشة .

البوليجون المرصع بالنجوم .

يعتبر كاتب ياسين واحـدا من الكتاب الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية . والأدب فى مفهوم هـــذه الطائفة من الكتاب ، نظرا لوضعهم السياسى والاجتماعي ، لا يمكن أن يكون سوى لون من الوان الكفاح ، فكلمة الأدب مرادفة لكلمة الكفاح ، وأدب كاتب ياسين خير دليل على ذلك .. ان هـذا الأدب جاء نتيجة للوعى الوطنى المتيقظ . ولما كان هذا الأدب وليد المعركة ، فان الديناميكية الثورية هى التى تحركه وتلهبه ، وشقاء الوطن وأمله فى الخلاص هما مادة هذا الأدب .

أما عن الشكل ، فقد صيغ هذا الأدب فى أشعار تقطر بالألم وتمجد الكفاح والنضال ، فجاء أدبا ملحميا يصور الألم ويجسد النضال ، ونستطيع أن نرجع أدب « كاتب ياسين » كله الى بضعة مفاهيم بسيطة وقوية : ففى سماء التاريخ الشرس يحلق طائر العقـــاب « طائر الموت ورســول الأسلاف » ويخط برجه الأسطورى ، وفوق الأرض فى شارع الڤاندال ، يوجد الأخضر ، ومصطفى ، ومراد ، ورشيد وهم جيل المذابح التى وقعت فى سيتيف ، والذين يمثلون الثورة الشابة .. ثم هناك شخصية رئيسية يرجع اليها كل شيء ويرتبط بها كل أمر ، الا وهى نجمة التى تمثل أرض الجزائر ، وهى امرأة متوحشة وعاشقة فى نفس الوقت ، ماثلة بلحمها وعظمها ، وهى فى نفس الوقت صورة وهمية أسطورية ، وهى تمثل الصلة بين الماضى السحيق والحاضر القائم

الذى تصوغه المعارك الدامية ، وهى امرأة غامضة « دامة الغزو » مثل الوطن الذى تتجسده .

وعند الحديث عن مسرح كاتب ياسين يجب أن نتناول ثلاثة أمور قد تكون معينا أو كشافا يجاو بعض ما يستعصى على الفهم فى هذا المسرح . أما هذه الأمور الثلاثة فهى شـــاعرية المسرح والمأساة الاغريقية وادب فوكنر . ذلك لأن مسرح كاتب ياسين يندرج فى قائمة المسرح الشعرى وهو يجمع فى نفس الوقت ملامح من المأساة الاغريقية ومن أدب « فوكنر » فى القرن العشرين .

ولكى يتضح معنى الشاعرية فى المسرح أو مفهـــوم المسرح الشعرى أرى من الأوفق أن نتعرض فى ايجاز لأنواع المســـارح المختلفة حتى تتميز الأشياء بضدها .. هناك أولا مسرح البولفار ، ويطلق عليه البعض اسم مسرح الهضم ، وأشهر ممولى هــذا المسرح هو « أندريه روسان » وكتاب هذا اللون من المسرحيات لا يستهدفون سوى تسلية الجماهير والترويح عنها .. ونجاح هذا النوع من المسرحيات رهن بتملق الجماهير عن طريق عرض الحياة اليومية فى أسلوب فكاهى بصرف النظر عن المضامين الأخلاقية أو الأدبية أو الفكرية .

ثم هناك المسرح الذهنى . ويتضح من تسميته أنه مسرح يعتمد على عرض الأفكار وتحليلها. ولهذا فهو ليس مسرحا بمعنى الكلمة ، ويعتبر « البير كامو » « وسارتر » من أهم رواد هذا المسرح ، وكتاب هذا اللون من المسرحيات يتخذون من خشبة المسرح منبرا يذيعون منـــه أفكارهم وآراءهم الفلســـفية أو الاجتماعية أو السياسية .

ثم هناك المسرح ـ الضـــد ، وهو يتعارض مع المفهـــوم الكلاسيكى للمسرح ، سواء فى تكوينه أو فى أفكاره . فهو ينبـذ

الحركة المسرحية ، أهم خصائص المسرح الكلاسيكى . وهو يرفض التحليل واللغة ، ويعتبر « بيكيت » أهم رائد لهذا اللون من المسرحيات .. فمسرحه يخلو من الحركة ومن التحليل ، واللغة فيه غامضة مبهمة .

ثم هناك المسرح الذى يهمنا هنا وهو المسرح الشعرى ويعتبر هذا المسرح امتدادا لمسرح بول « كلوديل » و « جان جيرودو » وهو يعتمد على الصور ويعلق أهمية كبرى على اللغة وعلى الكلمة ، فى حين أن المسرح الذهنى يعتمد على الأفكار ، وحقيقة الأمر ان كل مؤلف مسرحى يحمل فى ذاته شاعرا ، فنحن نعثر على لمحات شاعرية حتى فى مسرح « كامو » ففى مسرحية « سوء تفاهم » مثلا توجد صـــورة ماثلة قائمة هى صـــورة البحر والشمس .

ويندرج مسرح كاتب ياسين فى قائمة هذا اللون من المسارح ولقد أشار بنفسه الى هذه الشاعرية فى حديث صحفى لمجلة « الى الأمام » فى عدد يناير ١٩٥٩ اذ يقول : « اعتقد أن الشعر المنطلق أو الشعر المتفجر يتضمن قوة للتحرر لا يجب أن نشك فيها .. انك اذا أردت أن تصل الى غاية ما تقول فانك تصبح فى لحظات معينة تجريديا وغامضا .. ولكننى على أية حال واثق من القوة المفجرة التى يتمتع بها الشعر ، وذلك بمقدار ثقتى فى وسائل المسرح الواعية واللغة المقننة ، ذات الصياغة المتقنة » .

اذن فالكاتب يرى فى الشعر طاقة مفجرة وقوة دافعة وهو ككاتب مناضل ينظر الى الأدب على انه لون من الوان النضال ، أو أداة من أدوات المعركة . وعلى هذا فهو يلجأ الى الشـــعر ليستعين بقوته فى الحرب التى يخوضها دفاعا عن قضية الوطن .

والمسرح الشعرى كما قلنا مسرح يعتمد على الصـــور التى

تترجم الى رموز ، وعلى ذلك فان اللغة هى العنصر الغالب فى هذا المسرح ، وهى تمثل قدم الارتقاء ويرى « چان چينيه » أن المسرح عبارة عن « أغنية الموت » أو « حفل جنائزى » وهو يعارض المسرح الكلاسيكى ، ويعرض عن التحليل وعن مقتضيات العقل والمنطق ، ويتجه الى الجنون والهذيان . ثم انه يعرض عن الحبكة المسرحية ويسعى الى اثارة المتفرج عن طريق الغرابة كما يفعل فى مسرحية « البارافان » . ثم ان الأحداث لا تتضمن معانى فى حد ذاتها وانما قيمتها فيما تتضمن من رموز ، وهذا ما نشعر به فىمسرح «كاتب ياسين» . اننا فىهذه الثلاثية نحس بنقلة شاعرية على مستوى الواقعالمشهود الذىيمثلهالموضوع .

وتتدفق هـــذه الشاعرية فى مسرحية « الجثة المطوقة » التى تمثل مأساة حب الوطن الجنونى . كما أننا نشعر بهذه الشاعرية أيضا فى مسرحية « مسحوق الذكاء » التى تعتبر ملهاة ساخرة توجه ضد أصحاب الامتيازات الذين يمثلهم العلمـــاء والمفتى والسلطان ، هذه الفئة من المستغلين الذين يستفيدون من اضطهاد الشعب وكبت حرياته ، ومع مسرحية « الأسلاف يضاعفون ضراوتهم » نعود الى « الأغنية العميقة » الى اللحظة التى تتفوق فيها الأسطورة على التاريخ « ان الكورس فى نهاية المأساة يصبح شخصية المأساة الأساسية ، وله الكلمة الأخيرة ومضمونها أن الانسان لا يملك شيئا ، وعليه فى جو من الغموض أن يشرك الجميع فى كل ما لديه : قناعه وسره بل وحتى عاطفته ، وذلك فى مقابل مستقبل حياته .. هذا أمر جوهرى بالنسبة لحل عقدة المأساة حيث تصبح الأسطورة أكثر صدقا وأكثر كرما وأكثر وضوحا من التاريخ نفسه .. وهذا يمثل طغيان الكلمة القديمة وطغيان الشعر فى المسرحية على المسرح .. اذ أن الكورس فى مواجهة الشاشة يسيطر على التكنيك ليقدم للعالم الحديث البساطة التى

لم يعد يتذوقها . وفى النهاية تختتم الثلاثية بقصيدة العتاب وهى قصيدة درامية وهى أغنية ليلية غاية فى الحرية » .

ولكن أليس المسرح الشعرى تعبيرا يتضمن تناقضا ؟ ان المسرح فن يعتمد على المشاهدة والنظر والتأمل ، فهو قبل كل شيء يخاطب العين ، وهو يقوم على الحركة والصراع المنظـــور وذلك عن طريق المواقف والتعبير بالوجه والأقنعة ، وعلى ذلك فان المسرح فن يرتكز على دعامة « خارجية » وهو يرتبط بالفنون المادية مثل النحت والتصوير . فى حين أن الشعر يخلو من كل ما هو منظور فهو فن يعتمد على الموسيقى الموجهة نحو «الداخل» اذ انه يخاطب المشاعر والأحاسيس :

ولكن الناظر الى تاريخ المسرح يجد أن هذين اللونين من الفن ينجذبان كل الى الآخر ويتقاربان ويتواءمان ، وذلك منذ أيام المسرح الاغريقى ، ففى ذلك المسرح القديم كان الكورس يقوم بالانشاد والتعليق على الأحداث وكانت الموسيقى تؤدى دورها فى ذلك المسرح ، ومن هنا كان الخلط والمزج بين المسرح والشعر ، ولكن المسرح منذ ذلك الحين أعرض عن الكورس وعن الموسيقى وأصبح بالصورة التى نراها عليه اليوم : حدثا يؤدى الى محادثة .

واذا كان مسرح كاتب ياسين مسرحا شاعريا ، فان ثمة علاقة بينه وبين المسرح الاغريقى القديم .

لقد أسندت مهمة اخراج مسرحية « الجنة المطوقة » الى المخرج المعروف « چان مارى سيرو » الذى يقول محاولا وضع مسرح كاتب ياسين فى مكانه : « بين مسرح « بيكيت » الذى يستهدف الوضوح الخالص ومسرح « بيرخت » الذى يقود العالم فى طريق التفاؤل الارادى ، وهو طريق غير واقعى جزئيا ، بين هذين المسرحين يبدو أن كاتب ياسين قد فتح للمسرح طريقا

جديدا ، انه يجمع بين المصادر الحية للمأساة القديمة وبين وجهة النظر الوجودية لانسان القرن العشرين .. اننا نستطيع أن نقول انه فى نفس الوقت معاصر « لأسخيلوس وفوكنر » عبر القرون » .

ويمكن أن نلخص العلاقة أو أوجه الشبه بين « أسخيلوس » وبين كاتب ياسين فى عدة نقاط ، أولها فخامة اللغة وجلال الأسلوب ورفعة الفكر الى درجة الاسراف . والنقطة الثانية لا تقتصر على مسرح « أسخيلوس » وحسب ، بل هى سمة موجودة فى التراجيديا الاغريقية بصفة عامة وأقصد بها « البرولوج » أو التقديم .. ان ثلاثية كاتب ياسين تبدأ بالبرولوج الذى يلقيه «الأخضر » محاولا تقديم المعلومات التى تسهل عملية الفهم على المشاهدين . ثم هناك وجه شبه ثالث وهو الكورس الذى لا يكتفى بالتعليق على الأحداث وانما يشارك فيها .

أما عن العلاقة بين كاتب ياسين وبين « فوكنر » ، فيمكن ان نوجزها فى عدة نقاط أيضا أولها الغموض ، فكلاهما يغرق فى البلاغة لدرجة يصعب معها ادراك المقصود ويصبح الفهم أمرا عسيرا .

أما العلاقة الثانية فقد كان كل من كاتب ياسين وفوكنر مشدودا الى الماضى وساخطا على الحاضر وما أحدث من تغيير فى بلاده ، أما أهم ما يجمع بين هذين الكاتبين فهو مزج الحقيقة بالأسطورة والخلط بين الواقع والوهم بحيث نصبح من الصعب أن نميز بين الواقع وبين الأسطورة .

ان قصة « الصخب والعنف » لفوكنر وثلاثية كاتب ياسين يقدمان لنا ماضيا لا يزال قائما ماثلا ، ماضيا انقضى ولكن لم ينقض ما فيه من بغضاء وما زال يفيض بالمقت والثأر .

ان أدب كاتب ياسين الذى يتخذ من مصير الشعب كمادة له تتلاحم فيه المتناقضات حتى تبلغ درجة من الخلق يصبح معها من العسير أن نتعرف على مكوناته .. اننا فى رواية « نجمة » وفى ثلاثية « حلقة الانتقام » نجد منحدرات الأرز المشمسة التى تتدفق بالحياة ، ونشعر بالماضى العريق وبالمعرفة التامة بالأرض الأم وبأشكالها والوانها .. ثم نجد فى مواجهة هذا كله ليلا يضج بطنين المحاربين وتتراكم فيه الجثث ويمرق فيه المجاهدون الذين يطاردهم الموت من كل مكان .

واذا كان فوكنر فى قصته « ابشالوم ، ابشالوم » يصور العداء بين البيض والسود ، فان كاتب ياسين فى ثلاثيته يصور العداء بين المضطهدين والمستعمرين . وكلاهما فى تصويره يقدم لنا دوامة تدور فيها الأحداث والأشخاص .. ان كاتب ياسين لا يتخذ فى أدبه خطا مستقيما له بداية وله نهاية ، وانما يصب أدبه فى قالب دائرى . فالقصة عنده تبدأ مثل الدائرة من أى مكان وتنتهى مثلها أو لا تنتهى فى أى مكان ، وبذلك يحاول الكاتب أن يوائم بين الماضى والمستقبل . ولتنفيذ هذا التكنيك يستخدم الكاتب طريقة اللقطات كما هو الحال فى الفن السينمائى . فالمسرحية تبدأ بلقطة تصور الأخضر الجريح يعانى سكرات الموت ، ثم اذا بنا أمام لقطة أخرى تصور « نجمة » والأصدقاء وهم يتحدثون عن اختفاء الأخضر ، ثم لقطة ثالثة تصور الأخضر من جديد ، ثم لقطة رابعة نعود فيها الى « نجمة » والأصدقاء .. وهكذا .. ولقد ساعدت هذه الطريقة كاتب ياسين فى تنقله بين الحاضر والماضى ، هذا التنقل الذى لا يسير تاريخيا وانما يأتى تبعا لهوى الكاتب ، الخواطر الأبطال حتى يصعب التمييز بين الماضى وبين الحاضر .

ان هذا التكنيك وهذه الشاعرية التى جعلت الرمز وراء كل

شيء فى هذا المسرح كانا سببا فى صعوبة التفسير التى تصادف القارىء ، فالشاعر هنا لا يكتب لرجل الشارع .. انه يخاطب صفوة المثقفين العارفين .. فهو يتبنى « نظرية الفن الصعب » التى تكمن فى اثارة انتباه القارىء واهتمامه بكل ما يقرأ ، وجعله ايجابيا ، واثارة شاعريته . وبذلك يصبح العمل الفنى نوعا من المعزوفات التى تؤديها روح القارىء وذهنه .. ومن هنا أيضا جاءت التفسيرات العديدة للنص الواحد ، ويرى « بول ڤاليرى » أن الكاتب لا يملك الحق فى تحديد المعنى « فليس هناك معنى حقيقي للنص .. وليس هناك تحكم من جانب الكاتب .. لقد كتب ما كتب ، وان النص ما أن ينشر حتى يصبح كالآلة التى يستطيع كل فرد أن يستخدمها وفقا لهواه وتبعا لوسـائله الخاصة . وليس من المؤكد ان سائق الآلة يجيد استخدامها خيرا من سواه » .

ان وضع كاتب ياسين ككاتب جزائرى يكتب باللغة الفرنسية قد جعله يضفى على القصة والمأساة أشكالا جديدة نبعت من الاتصال المباشر بالأحداث ، وان التكنيك عند كاتب ياسين ليس مقصودا فى حد ذاته ، وانما الوجود الثورى الذى يعيشه الكاتب هو الذى يزخر ويجود بألوان التكنيك الجديدة وهكذا فان كاتب ياسين يقدم لنا أدبا ثوريا فى شكله وفى مضمونه .

وخير ما نختتم به هذا الحديث هو هذه الفقرة التى ننقلها للناقد « هولت » يتحدث فيها عن كاتب ياسين وعن مكانته الأدبيـة :

« .. سواء شئنا أو لم نشأ ، فاننا مؤخوذون نحن أيضا فى « حلقة الانتقام » . وكيف يمكن الا تمس « نجمة » المرأة المتوحشة شغاف قلوبنا ؟ ان هذه الشاعرية تتضمن درسا يجب علينا أن

نعيه جيدا ، وهو أنه فى حالة الاستعمار ، فان لغة المستعمر تكون بالنسبة للمستعمر العقبة التى تصبح أداة للتحرر ، ذلك هو تناقض الواقع تحت سيطرة الاستعمار .. انه ، وهو منفى فى وطنه ، يجب عليه أن يستعير لغة الآخرين ليعبر عن قيمه الذاتية ، وهو لا يستطيع أن يصل الى نفسه أو الى الآخرين الا بتخيله ، ولو الى حين ، عن غرابته اللغوية .. » .

ويقول كاتب ياسين نفسه : « ان عاجلا أو آجلا فان الشعب سوف يستولى على هذه اللغة وهذه الثقافة ويجعل منها أسلحة بعيدة المدى للتحرر » . ويستطرد الناقد فيقول : « ليس بالشكل فقط وانما بالمضمون أيضا يشرف كاتب ياسين اللغة الفرنسية » .

حماده ابراهيم

الأسلاف يضاعفون ضراوتهم

ترجمة	هيدي بانوب
مراجعة	بسيم محرم

((المنظـــر))

(حجرة صغيرة من حجرات السجن ... وقت التتميم على النزلاء) ..

الحارس : محمد بن صلاح ..

صوت في الظلمة : موجود .

الحارس : عمار بن على .

صوت في الظلمة : موجود .

الحارس : محمد بن أحمد .

صوت في الظلمة : موجود .

الحارس : مصطفى بن محمد .

صوت في الظلمة : موجود .

الحارس : هل عينت من عليه السهر هذه الليلة ؟

حسن : (مشيرا الى مصطفى) هو .. انه متطوع ..

الحارس : (الى مصطفى) كيف ؟ دائما انت ؟ دائما متطوع للسهر ؟ ..

مصطفي : ما دمت لا أنام فانى أسهر .

(الحارس ينصرف ويغلق البـــاب .. السجناء مستلقون أرضا على طول الحائط وقد وضعوا ثيابهم البالية تحت رءوسهم . دمدمة .. أصوات عالية . مصطفى من مكانه يشير اليهم بالسكوت .. بعد لحظة صمت قصيرة ، تعود الدمدمة ينهض مصطفى فجأة ويذرع الحجرة وهو يوزع ركلاته فى

كل صوب ، ولم يحصل الا على سكوت مؤقت جدا .. تستمر الدمدمة) .

حسن : وبعد ؟ ألا تريدون أن تسكتوا ؟

(سكوت كاذب) ..

حسن : (موجها كلامه لمصطفى) أشعل ولاعتك ... (يشعلها مصطفى) ..

حسن : كلهم نيام ؟ حسنا .. سأبدأ .

(بخطوات رياضية ، يدور حسن أكثر من مرة حول الحجرة على بطون الرجال وكلهم منبطحون فى حالة انتباه كأنهم يعدون انفسهم لهذه العملية التفكيرية الغريبة . لا صياح ولا تنهدات .. يعود حسن الى مكانه .. صمت .. لا تظهر الا شعلة الولاعة تلقى ضوءها على مصطفى .. تسمع دقات جونج متصلة .. بخطوات متسللة يذهب حسن ليوقظ مصطفى .. ينهض مصطفى بطريقة آلية ليحمل حسن على كتفيه .. يشرع حسن فى ثقب السقف بآلة ما .. لحظة يشرق النهار ضوء على حسن وهو ينزل واقفا على قدميه) ..

مصطفى : لم يحن الأوان .. لم يحل يومنا بعد .

(وهو يستعيد وقفته الطبيعية) ان موعدنا هذا المساء ..

(يستيقظ الرجال .. ظلمة .. دقات جونج متصلة .. ضوء على حسن ومصطفى . يتكرر المشهد السابق بسرعة .. يظهر حسن وقد انتهى من فتح السقف .. ان رأسه قد اختفت فى الفتحة .. وعندئذ بناء على اشارة معينة ينهض السجناء ويلتفون على شكل دائرة حول الشريكين) .

السجناء : ونحن ؟ ونحن .. هل ستتركوننا هنا ؟

مصطفى : (وهو ينصب قامته) كنت أعرف جيــــدا أنهم مشتركون فى الأمر ..

حسن : (دون أن يهبط) اسمعوا .. لدى ثلاثة أشياء أريد أن أشرحها : أولا .. هناك مرشدون واذن سيقدم تقرير ان لم يكن قد قدم فعلا .. ربما يكونون فى انتظارنا عند باب الخــــروج ، حتى يتمكنوا من احصاء الرءوس التى سيحرقونها ، وفى هذه الحالة سيصرعون بعضا منا متلبسين بالجريمة ليخلوا عددا من الأماكن .. ان السجون مكتظة بنزلائها .. ثانيا : ان وقتنا ضيق والعمل لم يتم بعد .. علينا أن نهتم بالفناءين وبالجدار الكبير .. وحبلنا بالغ القصر .. لو كانت لديكم حبال أخرى .. ثالثا : كفوا عن الجلبة ، كل واحد بدوره وما أن نصبح فى الخارج حتى نتفرق وليتجاهل كل واحد منا الآخر .

(تودد من الرجال .. تسمع جمل مثل « انه على حق » ومثل «سيقبض علينا من جديد» ، وفى نفس الوقت نرى «حسن» وهو يختفى فى فتحة السقف . ظلمة .. ضوء .. دقات جونج متصلة .. لا يظهر من السجن الا جزء من الجدار .. يسمع وقع اقدام .. عدد كبير من الرجال وهم يسيرون فى حراسة الجنود .. يسير الموكب على طول جدار السجن ترمقه نظرات الكورس وهو جالس القرفصـــاء فى مقدمة المسرح بين إطلال جميع الأزمنة التى تميز تاريخ الجزائر .. ان الكورس الذى يشمل عددا من الرجال والنساء يقوم بدور غامض فهو حريص

على الا يكشف عن وجوده بالنسبة للجنود الذين يمرون أمامه ، وفى نفس الوقت يتعمد اثبات وجوده جليا بالنسبة للمشاهدين) .

رئيس الكورس : سجناء آخرون .

الكورس : وجنود آخرون .

رئيس الكورس : انهم ذاهبون توا الى البوليجون .. ميدان الرماية المضلع .

الكورس : الى البوليجون .. ميدان الرماية ..

رئيس الكورس : نعم ، حيث يتم رميهم بالرصاص .

الكورس : ميدان الرماية .. ميدان الرماية .. ميدان الرماية .. بوليجون .. بوليجون .. بوليجون .

رئيس الكورس : لقد قاموا بقياس كل شيء .. انهم يقضون وقتهم فى اتخاذ الاجراءات ضدنا .. ان البوليجون فى علم الهندسة .. يعنى كل شيء ..

الكورس : هناك فى نفس المكان . حيث الرمى بالرصاص .. معتقل .

مصطفى : (وهو مقنع يخرج من بين صفوف الكورس) هذا صحيح كنت هناك منذ عشر سنوات .

رئيس الكورس : نحن أغنياء فى البوليجونات .

الكورس : وناهيك بعدد المقابر .

رئيس الكورس : هذا فيما يتعلق بالأراضى الفضاء اما عن السجن .. فانه ترف فى انتظار السلام .

الكورس : بوليجون .. بوليجون .. بوليجون ..

رئيس الكورس : (بلهجة العليم) كل اقليم عبارة عن بوليجون وكل

البلاد انما هى بوليجونات ولها اسمها فى الكرة الأرضية .. هناك البوليجونات القياسية .. مسدسات الزوايا مثل فرنسا .. وهناك غير القياسية .

(سكوت ، موكب آخر يعبر خشبة المسرح) ..

رئيس الكورس : سجناء آخرون ..

الكورس : وجنود آخرون ..

رئيس الكورس : آه .. لو كان مع السجناء أسلحة ..

الكورس : لو كان من المستطاع تجريد الجنود من السلاح ..

(عند هذه الكلمات ، يخرج حسن وهو مقنع من بين صفوف الكورس ويكشف عن سلاح يخفيه تحت ثوبه) .

الكورس : (فى دهشة كبيرة) انه مسلح ! .

حسن : هل تعرفون طهار ؟

رئيس الكورس : طهار ؟

الكورس : آه نعم ، طهار ، سيدى طهار ..

رئيس الكورس : سيدى طهار .. قلب حنون لا يخاو بيته يوما من زاد الفقراء .. مع الأسف ، انه يسكن بعيدا ..

حسن : تعرفون أذن مكان سكنه ..

(ظلمة . ضوء الكورس اختفى . حسن ومصطفى فى مقدمة المسرح يرتديان زى ضباط الجيش الفرنسى) .

حسن : فى الحياة ، وخاصة فى زمن الحرب ، مع الشعب أو فى مواجهة العدو ، علينا أن نلعب كل الأدوار ..

مصطفى : ان لديك استعدادا مسرحيا .. أما أنا فلا .. يعتريني الاضطراب أمام الجمهور .

حسن : لا تتظاهر بالبلاهة .. لقد حصلنا على ترقية. وسننتقل الى الصفوف المواجهة لمجرد القيام بزيارة سيدى طهار رئيس احدى الجمعيات المخلصة للوطن الأم .. ان ممتلكاته الشاسعة يحرسها الجيش ليلا ونهارا .. نعم سنكون موضع ترحيب يليق برتبنا العسكرية ..

(ينتقل الضوء .. جندى جندى يقوم بالحراسة . جنود متضايقون وساخطون ، لأنهم مكلفون بالمحافظة على أمن صنم استعمارى هش . أما هذا الصنم ، أى طهار ، فانه متربع وسط خشبة المسرح ، يحتسى كوبا من الشاى مع قطعة صغيرة من الحلوى وجهه مشرق وأصابعه مثقلة بالخواتم ، وعمامته تعلو رأسه على شكل معمارى ، فى احدى يديه مروحة ، وفى الأخرى خلة أسنان . وأصابع قدميه تتحرك فى خفين رقيقين .. انه هادىء البال ، عليه سمات الزعامة .. من حين الى حين ، عندما تتعبه المروحة وتضايقه الخلة يلجأ الى السبحة تحت نظرات الجنود الساخرة .. تمر لحظة تظهر فيها ابعاد شخصية طهار . ثم يدخل حسن ومصطفى فى مشية عسكرية فيقف جنود الفرقة فى حالة انتباه ، ويؤدون التحية يتجه الاثنان رأسا الى طهار فينهض فى عجلة) ..

حسن ومصطفى : (وهما يؤديان التحية) سيدى الرئيس ..

طهار : (يرد التحية بكلتا يديه) سيدى العقيد .. سيدى الرائد ..

مصطفى : اننا فى حاجة اليك .. الأمر عاجل . اننا مجتمعون فى المركز نعد للانتخابات .

طهار : (مفتونا) آه .. نعم .. صحيح ، الانتخابات .

حسن : انك رجلنا .

مصطفى : أسرع .. فالعربة فى انتظارنا .

طهار : (متظاهرا بالخجل) سيدى العقيد .. سيدى الرائد ..

(ظلمة .. خشبة المسرح خالية .. يدخل حسن ومصطفى وهما يدفعان بطهار امامهما) .

حسن : السير أو الموت ..

مصطفى : يمكن الوقوف هنا .

طهار : سيدى العقيد ، سيدى الرائد ..

(يكف الجميع عن السير ..ويبدأ حسن فى الاستجواب . يقوم مصطفى بالحراسة) .

حسن : لنبدأ من البداية .. يقال عنك انك تعرف كثيرا عن النساء .

طهار : (وقد سكن روعه) القصة متعلقة اذن بالنساء .

حسن : هناك واحدة تهمنا نحن الثلاثة .. انظر الى جيدا ..

(عند هذه الكلمات .. حسن يلقى بقلنسوته .. ويفعل مصطفى نفس الشىء . يبقى طهار لحظة مذهولا ثم يقول وهو يرتعد) ..

طهار : لا اله الا الله محمد رسول الله ..

حسن : ستؤدى صلاتك فيما بعد .. حدثنا عن هذه المرأة ..

مصطفى : ولا داعى للكذب .. اننا نعلم ..

طهار : يا سـيدى حسن ، يا سـيدى مصطفى .. ايا أبنائى ..

حسن : لا تمزح . بقلنسوة وشرائط يمكن للمـرء أن يتصرف فيكم أنت وأمثـالك كيفما شـاء وبالمناسبة ..

(يقترب حسن من طهار شاهرا سكينه .. يعترضه مصطفى) ..

حسن : لا يليق أن نفقد الذخيرة هدرا .. اما ان نذبحه ، واما أن نشوهه .. تذكر الأخضر .

مصطفى : انى أتذكر .. كان معنا ، انا والأخضر عندما قبض علينا للمرة الأولى ، رجل جدع أنفه فى مسـألة تمس .. الشرف ، لأن فى اللغة الشعبية عضو الشرف هو الأنف . ولكن جدع أنفه لم يغيره شـيئا .. فالرجل كان دميما وبقى على حاله بمعزل عن الندم . وقد وجد ما يبرر به حقـده مقدما فأخذ يخوض فى الوحل سميا وراء صحبة جديدة . اتعرف لأى سبب كان هناك ، فى السجن مع الوطنيين ، لأنه اغتـال يهوديا صـغيرا فى الثالثة عشرة من عمره .. كان صديق طفولتنا أنا والأخضر . كان يظن انه بعمله هذا سيسترد شرفه بدل أنفه الممزق اربا .. السجن .. يا له من عقاب تافه !!
ستقول لى : لم يكن احـد يأمل فى أن يغيره بل كان الهدف الوحيد هو اعطاء درس للآخرين .. ولكن الشعب لا ينقصه التمييز .. سيدرك ان آجلا أو عاجلا .. اننا ضيعنا وقتنا : ان لم يكن

للخونة أنف ، كما يقال ، فما الجدوى من حرمانهم مما لا يملكون ؟

حسن : اجمال الكلام هو أنك تدعو للعفو الشامل فى ذكرى هذا الفتى اليهودى ؟ ..

مصطفى : دعنى أستجوبه ..

طهار : (باكيا) آه .. يا بنى ! .

مصطفى : هذه المرأة لقد رايتها انت من جديد ..

طهار : (ملفقا حديثه) منذ زمن بعيد ، بعيد جدا ..

مصطفى : اين هى ؟

طهار : بالله لا أدرى .. ليكن عندكما شىء من الانسانية .

حسن : لو تركناه لأعطانا درسا فى الأخلاق ! .

مصطفى : اين هى ؟

طهار : لا أدرى .. لا ادرى .. أقسم برأس ابنى ..

حسن : اى ابن ؟ ..

طهار : (مستدرجا) الأصغر ..

(يفتح حسن خنجره) ..

طهار : امرأة غريبة . يحكى انها عاشت فى فرنسا ، فى أحد البارات ، وعاشت هنا مع رجل أسود ..

مصطفى : وبعد هذا .. أكمل .

طهار : أما الآن فانها دائما معتكفة مع ابنها ، ولد داعر ، فى احد الوديان ..

مصطفى : فى أحد الوديان .. !

طهار : يسمونه وادى المرأة المتوحشة .. نعم ما أكثر ما يقال . بل يقال انها استأنست عقابا .

حسن : انه يعود الى معاملتنا على أننا فتيات صغيرات .

طهار : (مدفوعا بســـذاجة كريهة ولكن حقيقيـــة وأساسية) .. لكما أن تستوضحا الأمر فسيقص عليكما الناس قصة العقـــاب الذى يأتى لزيارتها والذى أسمته باسمه ..

مصطفى : باسم من ؟ ..

طهار : (قلقا وكأنه شط فى كلامه) باسم ..

مصطفى : (وهو يستل سلاحه) باسم من ؟

طهار : (وهو ميت أكثر منه حى) الأخضر ..

(عند هذه الكلمة يطلق مصطفى رصاصة .. يسقط طهار) .

حسن : برافو .. تركتنى بعيـــدا خلفك .. انى أفهم ذلك .. أردت أن تثأر للأخضر لكنك ستندم على هذه الرصاصة ..

(ظلمة .. دقات جونج متصلة .. ضوء .. الحركة تستمر دون انقطاع وفى ظل شجرة برتقال برى تساقطت ثمارها وغطت الأرض ، خالقة جوا خاصا فى مكان المأساة ، ترى امرأة شعثاء ، حافيـــة ، لا ترفع خمارها الأسود ، بحيث لا تميز ملامحها الا فى لمحات خاطفة ، عندما تحتد مشاعرها) .

الكورس : (داخلا) ها هى .. ها هى ..

رئيسة الكورس : ها هى ذى شجرة البرتقال ..

الكورس : نعم ها هى شجرة البرتقال ذات الثمار المرة .. يا له من رخاء قاحل ، رخاء هذه البلاد ..

رئيسة الكورس : (مشيرا الى المرأة واطرق اليها) : ها هى ، هى ما زالت تحت تأثير الشيطان .

الكورس : (ينشد) الى وادى المرأة المتوحشــــة لنذهب للزيارة ..

المرأة المتوحشة : (فى وثبة) ماذا تردن منى .. ؟

الكورس : نحن فى وحدة ..

نحن فى وحدة .. الرجال فى الحرب ، كلهم فى الحرب ، أو فى السجن أو فى المنفى .

المرأة المتوحشة : (غارقة فى التفكير) فى وحدة .. كان هذا حالنا دائما ولكننا اليوم بلغنا النهاية . انها اللحظـــة المناسبة الوحيدة .

الكورس : آه .. نعم .. تحدثى الينا ، تحدثى ..

رئيسة الكورس : اننا فى وحدة ، حدثينا عما تحدثك به عزلتك ..

المرأة المتوحشة : انها اللحظة المناسبة الوحيدة ، انها الحــــرب ، فلنمارس حرياتنا ..

رئيسة الكورس : (يتردد) حرياتنا ؟

الكورس : (بحماس) نعم ، نعم ، فلنمارس حرياتنا ..

المرأة المتوحشة : الى ميزتينا .. الحــــداد والعبء .. لنضف الضراوة .. ولنسر نحن أيضا الى القتال ! .

(لحظة سكون .. المرأة المتوحشة تمعن النظر فى نقطة ما من الفضاء .. كما لو كانت تنتظر اشارة .. الكورس فى ايمانه بالخرافات يتعلق بنظرتها) .

المرأة المتوحشة : أأنتن مستعدات ؟ أتردن أسلحة ؟

رئيسة الكورس : (قلقة) أسلحة ؟

الكورس : (فى انفعال) نعم ! . أسلحة ! .

المرأة المتوحشة : أنظرن (تشير وهى فى مؤخرة المسرح الى صورة

عقاب يحوم على جزء من الجدار الذى يبدو وكأنه شاشة للعرض) .

الكورس : العقاب ، العقاب ! .

المرأة المتوحشة : حيثما يحـــوم العقـــاب فان عظام الموتى تكون قريبة .. وحيثما توجد عظام الموتى ، توجـــد الأسلحة .

(فترة سكون .. ظلمة كاملة .. لا يرى الا العقاب وهو يحوم راسما دوائر واسعة على الشاشة .. ثم يسمع صوت رزين بعيد تصاحبه بانتظام دقات الجونج) .

العقاب : يا أيتها الفتيات أنتن لا تستطعن سماعى ، وأنا لا أستطيع الكلام ..
هذا القلب الفولاذى المختل لقد فقدت مفتاحه .. بين يدى هذه الساحرة التى تحرضكن .. وبما أنها أحسنت الكذب فيما يتعلق بمصيرى فانى لا استطيع أن أصف الحنان الأمومى الذى يتسم به الموت ساعة الحب .. يجب امهال الخطى مع العذارى .. ولكن ما دمتن راحلات الى المذبحة فلا أقوى ، أنا العقاب ، أن أحرمكن من هذا .. ولكنى سأسهر لأحول بينكن وبين ثعبان المقابر .. بينكن وبين المشرحة مأوى العلم البارد وأملى أن انقض قريبا على المتوحشة .. بعد أن اتخلص أخيرا من هذه الأجنحة التى تنهكنى .. وحينئذ لن اشعر بالحاجة الى النهوض ثانية وقد جمعت نفسها الأخير ..
هذا ما كانت وما زالت عليه الخاتمة الوحيـــدة

التى أتطلع اليها : طقوس هى طقوس المعجزات والعرس والجنازة يقوم فيها المتوفى ببعث الحياة ، والأرملة التى تعود الى الحياة مرة ثانية ..

(لحظة .. ضوء ضعيف على الكورس الذى يتمتم فى حالة ذعر) ..

رئيس الكورس : يا له من طائر غريب ! ..

الكورس : لم نره عن قرب قبل اليوم ..

(يزداد الذعر بين كورس الفتيات ليلتصقن بالمرأة المتوحشة وهى صامتة شاردة البال ، تحت شجرة البرتقال) ..

العقاب : واأسفاه ! . مهما احتفظت بالمسافات والتزمت لغزى .. فانى أوحى بالذعر .. لم لا نستطيع ونحن على كوكب واحد أن نشترك فى الشعور بالزمالة أثناء رحلتنا ؟ ..

الكورس : (وهو يترقب كلمة تنطق بها المرأة المتوحشة) .. يا له من طائر غريب ! . يا له من طائر غريب ! .

المرأة المتوحشة : (ساخرة) انه أتى من الشرق ويمكث فى الغرب .. انه هيروغليف شمسى والصحراء بيئته الملائمة .. وفيما عدا ذلك فان العقاب الأسود الأبيض نحات الهياكل العظيمة ، يعتبر نفسه فنانا ..

العقاب : لا يهم .. فبدلا من سماعى ، ستعرفن بواسطة صوت آخر جوابى الداعى الى اليأس .. أيتها الفتيات ، أيتها الفتيات المبهورات .. انى من أجلكن مستعد أن أزيل بهاء صيتى .. نعم من أجلكن أيتها العذارى المنعزلات من جراء الحرب

والمنفى .. وحتى تستمد الاسطورة من ابتساماتكن المرتابة .. الملح الذى يزيد الجرح قوة وعنفا. أريد أن أقترب منكن فى الهواء الطلق تحت نظرات السجينة الجارحة .. نعم هأنذا هابط بالسخرية المريرة .. ان أكثر خواطرها وهنا .. وما أبعدها عن الوهن ! . توغلت .. فى نفسى من كل صوب .. زهرة وجذر لا يفترقان ، اثنان عنيدان .. انى أستيقظ معها .. وكل منا يقضى لياليه فى أحلام الآخر .

(أثناء هذا الحديث لم يكف العقاب عن التحليق فى الجو .. أما المرأة المتوحشة فقد انتهى بها التأثر الى ان رفعت نظرها الى العقاب وقد بدت عليها علامات الاضطراب . مع الفقرة الأخيرة يبسط العقاب جناحيه وتظهر صورته مكبرة تغطى الشاشة) .

الكورس : (وقد تحجر من الخوف) العقاب .. العقاب .. ان ارتفاعه يقل .

رئيس الكورس : انه يتردد فى الهبوط ..

الكورس : وأيضا يتردد فى الابتعاد !

رئيس الكورس : (بسخرية كاذبة) انه شرب مزيدا من الأثير ! .

(الظلمة التامة تشمل ايضا الشاشة .. لا يرى أدنى شىء) ..

العقاب : من بين جميع النشوات أعرف أيتها كانت القاضية ... ولكنى أعود الى النجمة المظلمة أبسر اليها بشكوكى .. وأثور .. أنا الذى لا يفهمه أحد ، فى وجه التى لا يفهمها أحد .. شبيه

بمن يكتشف ضحية خالها الناس ميتة ، وكمن يستنشق فى المعلقة دماء ما تزال ساخنة . . قريبا جدا كانسان يلتهم ذاته فى فم آخـــر ، وسط اختلاط الأجساد .

(فترة سكون .. دقات جونج .. اضواء باهرة على المرأة المتوحشة وهى واهنة متسترة تماما تحت خمارها الأسود ، بين الفتيات الوجلات واخيرا تنهض المرأة وتوجه لعناتها الى العقاب رغم أن صورته قد اختفت من على الشاشة) .

المرأة المتوحشة : كلا . . انى لا أبكى . . انه عاش عيشة لص ، كلص يحطم ليسرق . . وقد عاد ظله . . وللمرة الثانية يحوم فى حرية مؤقتة . . ما أكثر الزنزانات التى اقتحمها ولم يتحمل الا عبء الفرار .. هاجرا قبره . . كما كان من قبل يهجر السجن وهو يزيد دائما عقوبته ويتدحرج رأسه فى قلبى بصـوت سقوط لا ينتهى . . نعم ان هذا الحجر الوحيد يكفى لرجمى .. وهناك .. هنــاك يمسنى ويقصفنى بلا هوادة . . انه هو ، انه دائما هو . . وقد استرد مكانه فى الفضاء لا يخشى عقابا . . انه يستفزنى فى ظل وطن الأموات . . انه مصدر كل الخرافات ، هناك . .

كورس الفتيات : فى ظل وطن الأموات . .

(لحظة يظهر العقاب من جديد وهو يحوم على شكل دوائر واسعة) . .

العقاب : لم يعد هناك حب ، لم يعد هناك أحد . . لم يعد هناك الا أنا ، الا أنا ، طائر الموت ، رســـول الأسلاف . .

كورس العذراء : (هاربا دون أن يترك المسرح) طائر الموت ، رسول الأسلاف ! .

المرأة المتوحشة : (متوسلة) ابتعد أيها العقاب ..

العقاب : آه .. لو لم يرسـانى كبلوت العجـوز ، جدنا المشـترك لأنهيت هـذا الوفاء التافه الذى التزم به فى غيابه .. ولكن على أن أقدم حسابا عن جثة ، وأن أعيد الأرملة الى قبيلتها وأنا اكشف لها عن الطريق المشئوم الذى يحاذى مكان عظام الأموات ، ليؤدى الى كهف « كبلوت » وذويه . الويل لها اذا تأخرت !! ربما وجدت أكثر من عاشق وأكثر من أخ ، فيصل الخصام حينئذ الى موطن الأسلاف ، الى موطن كبلوت الذى راح الى موطن الكارثة .. أما أنـا .. المفتـون ، فانى أندمج فى شخصية العاشق ، واطيـل فى أمد وفائى العائق ، وقد بعثت فى مرارة ، وأحل الى اللانهاية بمعاصر الصـورة الأخيرة العزيزة .. انا أيضا لى قلب ، وبوصفى طائرا .. لى قلب ثقيل .. والنار تهددنى ومن الجائز جدا أن أنفجر فى وسط تحليقى ، حتى ولو اختطفنى من المرأة الماردة ونفـانى دوار الهواء ، ذلك الشبح اللدود .

كورس العذراء : (يلف ويدور وهو يهين العقاب) دوار الهواء ، دوار الحب ، لا علاج لدوار الهواء !!

المرأة المتوحشة : (مذعورة) ابتعد أيها العقاب ! . اننى أعلم .. أعلم انك الأخضر السابق .. أنت الحيـوان

الشنيع الذى تغـــذى من جثته ، أنت طائر الأســـلاف ، منبع الدم الأسود ، أنت الخاطف المطهر الذى تغذى من كل جثث قبيلتنا عـــلى السواء ، انك الأخضر السابق ، الجثة المحاصرة التى يحوم طيفها وكأنه روح ، باحثا عن جسم آخـــر ..

العقاب : (آخذا فى الهبوط) هذا الجسد الحى ، هو أنت !!

كورس الفتيات : (مبتعدا) ما هو الاتفاق القائم بين هذه المتوحشة وبين طائر الموت ؟ ..

المرأة المتوحشة : اطول بقائى وحيدة تعامت ، فى رغدانى ، لغــة الأطياف .. وفى انتظار عودته تعودت على الفزع والشك ، لأنه يحب أن يتخفى .. وكالخمر التى تبعث على الدوار فهو يعرف كيف يتسرب خلال الشرايين التى اسودت بفعله ، ويعـــرف كيف يشرب معى .. ويضن على بسمه .. انه لم يترك لى شيئا .. ويتيمة مثله تماما شبح مصفر ، يهيم فى الطرق ، ولم يبق لدى منه اية ذكرى .

العقاب : لقد عميت عيناى ولم أعد أعرف من الذى ينير سبيلى .. ولأن سكوتها يضطهدنى ، لا أعـرف كيف أندثر أو كيف أفرض ارادتى .. قال لى اذا كنت قدمت حقا .. مهما حاولت أن أطير فان ظلى ما زال موغلا فى دم المرأة المتوحشة ، وأشعر بانى نشوان .. كما لو لم أنتش فى حياتى .. لم يدفعنى النبيذ الى القنوط قبل اليوم .. وهذا

حق أيتها الفتيات ، لقد انتهى بى الأمر الى شرب الأثير ! .. بعد مثل هذا الخريف المتصب فان فصول السنة نفسها .. لا يسعها الا أن تتوالى فى موكب كئيب .. ولا توجد زهرة بنفسج متألمة يعيش عطرها على الدوام مثل عطرها .. وأنا أتهم كما تتهم هى ، بضربات سيئة ، كل دموعها ، وهى لا حصر لها ، وهى قطع من المآسى تسكبها عينها الحادة القاطعة ، سواء أبكت مثلما يبكى سمك القرش وقد حرم من فريسته أم سرت فى نفسى كأنها جثة يجرفها التيار .

الكورس : انه أخذ فى الهبوط ، لقد أكثر من شرب الأثير ، العقاب الأسود والأبيض ! .

العقاب : أيتها الفتيات اللوائى يشاركن المتوحشة فى نظراتها الحمقاء ، ومخابئها ومنفاها المدوى .. أيقدر لى أن ألتقى فى طريق العودة بجميلات أسوأ ممن ارى ؟ أيقدر لى أن أستوضح رغبات هذه المرأة المتقلبة ؟ ولكن ما الطائل فى أن أحيا من جديد لأموت بعد ذلك ؟ ان البؤس القديم بئر يترقبنا على عتبة جنة قاتمة ، ما أكثر من يطعنون بسكين لأنهم غامروا برؤية الموعودة للمرة الثانية .. ولكن هذا السكين هو مفتاح التلاقى ! .

(لحظة يخفت الضوء .. يسير رجلان مقنعان ملتصقان بجزء الجدار ويعترضان هكذا صورة العقاب ، ويلقيان بأسلحة فى اتجاه الكورس ، وفى مقابل ذلك ، للدلالة على تعهدهن .. تلقى الفتيات بحليهن ويأخذان الاسلحة) .

رئيس الكورس : الشرف لكم أيها المحاربون الذين يحررون النساء ..

الكورس : لكم الشرف لأنكم تشعرون بآلام اللواتى يختبئن ليلدن ويقذفن بجواهرهن ليقاتلن .

(عند هذه الكلمات تصطف الفتيات تأهبا للسير ، وقد استدرن نحو المرأة المتوحشة التى تتردد مشدودة الى صورة العقاب وقد ظهرت ثانية الى الشاشة بعد أن كف الرجلان عن حجبها ، وانسحبا فى سكوت وهما يحاذيان الجدار)

العقاب : هلمى وباصابعك الملاطفة اجنى قمل الشعب ، ونيابة عن حارسه هلمى وأقلقيه فى سباته . .

المرأة المتوحشة : (متصدرة الجمع) أسلحتنا ساذجة ومخيفة شأنها شأن الشعب الذى يهرول بعد أن مسته النبوة . . نعم سنغسل الهزيمة القديمة . . وأرضنا وقد عادت اليها الطفولة ، فان حميتها القديمة ستتقد فى كل أرجاء البلاد .

رئيس الكورس : فى كل أرجاء البلاد يتنازعون الأرض ، وحتى الجثث . . تسحب الأرض اليها وكأنها غطاء . . وبعد قليل لن يجد مكانا ينام فيه هؤلاء الذين يتوهمون أنهم أحياء ويعيشون على حسابنا . .

(رويدا رويدا ، يحتل الجمع مكانه على خشبة المسرح المتحركة ويبدو سيره وهو لا يزال يلقى نشيد القتال) .

رئيس الكورس : (وظهره مقوس تحت عبء البندقية) نحن من يتلقى قبل غيره . . كل الضربات من أى صوب جاءت . . ويثقل علينا عبء الموت هذا . . ولكن علينا أن نعيش أننا نحمل معنا موكب القتلة . وكأنهم رمح يرتعد فى صدورنا .

(طلقات نار توحى بقتال يقع فى مكان قريب يقتحم خشبة المسرح . . بعض الرجال يتبين من شاراتهم

انهم من أفراد الجيش الشعبى ، رجال ونساء يتبادلون العناق والعبارات المازحة) .

رئيس الكورس : السلام عليك يا جيش العيون السوداء الواسعة ! .

رئيسة الكورس : السلام عليكم أيها السادة اللصوص .. هل تمثلون جنود الشرطة .. ؟

(فترة سكون . بعد الانتهاء من تبادل الترحيب ، تصطف المجموعتان بنظام تأهبا للسير كل على حده .. اما نبرات الكورس فتصبح رصينة) .

كورس الفتيات : لا تأملوا فى وقفة أكثر جمالا .. انه مقدر للشعب أن يرى نور النهار بأعينكم أنتم . عليكم أن تدربونا على استطلاع طريقنا بين النجوم ، فى اشواك الغابة حيث تكتمل ألوان الصيف الحمراء .

رئيس الكورس : ايروق لكن المجىء معنا .. ؟

رئيسة الكورس : عند ساعة التضحية عرف الشعب الأم أن يجمع شملنا بشجاعة .

(يجتمع الفريقان بسرعة ويأخذان فى السير)

الكورس : (الرجال والنساء كل بدوره) أخيرا قذف عمالقة الغابة بالحصاد الكاذب فى النار ..

(يعبرون المسرح .. يخفت الضوء .. تسمع وهى تقترب أكثر فأكثر طلقات الرصاص وصيحات مدوية وآهات .. صوت يقول من حين الى حين « انها الحرب » ويردد الكورس هذه العبارة البسيطة وكأنها حكمة .. أخيرا يخلو المسرح لحظة .. دقات جونج متصلة .. يلبس حسن ومصطفى القناع من جديد ولا يكفان عن اجتياز المسرح طولا وعرضا .. انهما يمشيان فى الصحراء) ..

مصطفى : الموضوع هو .. هو دائما لا يتغير . يقول البعض ممن لا يكفون عن الثرثرة ! ان الحرب انتهت .. انه موضوع الأحاديث فى المقاهى .

حسن : لا أهمية لهذا .. فما أكثر ما شاهد شعبنا أمورا من هذا القبيل .. انه يعرف هو أن حربا مستمرة مثل حربنا ، لن تنتهى يوما .

مصطفى : فى هذه الصحراء حيث لا نملك شيئا ولا يحمينا شيء ، حيث لا تصلح أساليب قتالنا ما دام أنه لا مفر من الاشتباك فى أرض منبسطة مكشوفة ومن أن يواجه جيش جيشا آخر ، فى وضح النهار ، فى هذه الصحراء حيث نشعر اننا لا شيء ، هذه الصحراء التى لم تحتفظ بآثار أية امبراطورية ، لا تستطيع أية دولة أن تفزعنا أو أن تفسدنا .. ان من عانى ما تصفعنا به الشمس من قنابل ساعة الظهيرة لا يخشى هجوم الناموس .

حسن : أما من أخبار أخرى ؟

مصطفى : لا جديد .. شاهد بعض البدو قرب الحدود الغربية امرأة فى خمار أسود فى صحبة أخريات ، كن يتبعن قافلة . انى انقل لك ما قيل لى ، لا اكثر .

حسن : وهذه القافلة هل اجتازت الحدود ؟

مصطفى : يجوز ..

حسن : اخطأنا لأننا تركناهن دون حماية . لا يزال المغرب الكبير بعيدا .

مصطفى : هناك معاهدة بيننا وبين السلطان .. لا يستطيع الجيش الملكى أن يتجاهلها .

حسن : لقد وقع عبد القادر فريسة الخيانة وسلم للعدو على الحدود .

مصطفى : سلطان اليوم ليس سلطان الأمس .

حسن : ما عليك الا أن تقرأ الجرائد .

مصطفى : لست ممن يقرأون بين السطور .

(فترة سكوت .. يترك حسن ومصطفى المسرح .. يسلط الضوء من جديد على جزء الجدار الذى يقوم مقام الشاشة حيث يحوم العقاب ، ثم يسلط على قافلة نساء يقودهن جندى قذير ، نميز بينهن المراة المتوحشة ، من خمارها الأسود) .

الجندى : (محملقا فى الشاشة) ابتعد أيها العقاب .. نحن لا شيء بالنسبة لك وأنت بالنسبة لنا لا تعنى شيئا ! . أيها العقاب ، أيها العقاب كف عن مطاردتنا ، ليس فينا من مشرف على موت . ابتعد أيها العقاب .

(يحلق العقاب ويستمر فى تحليقه على الشاشة) ..

الجندى : (نفس الآداء وهو يشير الى الفتيات) لتكشف العذارى عن وجوههن . انظر أيها الطائر اللعين .. كل هذا الجمال المكافح مخصص للجيش الملكى .. ايه .. لابد أن يكافأ رجالنا على وفائهم فى هذه الأزمنة العصيبة .. أما هذه القاسية (يشير الى المراة المتوحشة) فسأتصرف فى شأنها ، لقد سبق لى أن روضت خيلا أكثر جموحا .. ليس

عندى فى قافلتى شىء لك ، أيها العقاب أيهـــا الطائر اللعين .. ابتعد عن طريقى ..

(يقهقه الجندى وهو راض عن مزاحه الثقيل ، ولكن العقاب لا يزال يحوم بينما يضعف الضوء وتحط القافلة رحالها لقضاء الليل . ينتهز حسن ومصطفى حالة شبه الظلام ليقتربا فى سكون . وبينما يترقب حسن الجندى وفى اللحظة المناسبة يطعنه بكل هدوء دون أن ينبس الجندى ببنت شفة ، يتجه مصطفى نحو المراة المتوحشة وهى مستلقية على الأرض . تراه فتصيح صيحة مدوية .. تستيقظ الفتيات مذعورات ويتفرقن ويصطدمن بجثة الجندى . حسن يرفع القناع عن وجهه يحاول أن يهدىء من روعهن ويذهب بهن الى الكواليس . يبقى مصطفى بمفرده مع المراة المتوحشة التى يبدو أنها لا تشعر بوجوده . وحتى بعد ان كشف هو الآخر القناع عن وجهه ، تحملق المراة بشدة فى جزء الجـــدار الذى يضاء فجاة ، والذى يظهر عليه العقاب فى منظر كبير .. يضرب بجناحيه بغضب لأنه لا يستطيع أن يتدخل بين المراة المتوحشة ومصطفى) .

المراة المتوحشة : الأخضر .. الأخضر .. : انتشلنى ، انتشلنى لا أريد أن أقع تحت سيطرة السلطان الذى خان جده .. جدنا .. نعم ، تذكر عبد القادر وكيف خانه فى العام السابع عشر من أعوام كفاحه .. السلطان الذى أثارت انتصاراتنا غيرته ، نعم ، السلطان السابق الذى يرسل اليوم خليفته كلابه فى أعقابنا . انه يستغل حدادنا كما يستغل الحرب ليساوم فى ثمن صحرائنا نظير تراب جثثنا ، هذا بعد أن سلم للشرطة أصابع يدنا الخمسة ، نعم

زعماؤنا الخمسة الذين تسبب فى أسرهم ، نعم أتذكر الأخضر ..

مصطفى : (على حدة) هذا مما يجدد ذاكرتى .. انهـا تنادى الأخضر .. أما أنا فليس لى اسم ، لقـد اختفيت على حق فلم يبق لى الا أن أضع القناع من جديد وحتى لا يدوم شىء مما كان سابقا ، وحتى لا يحظى المعبد الا بزيارة الثعابين ، يجب على أن أطارد زوجة أعز أصدقائى .. وعلى أن يسمعنى دائما من ينفر منى ، وأن أدنس آثار الصديق وأن أزعج الهاربة ، وأن ألبس القناع لأدافع عنها .

(ظلمة .. ضوء .. حسن ومصطفى والمراة المتوحشة والكورس يبحثون عن أثر فى الصحراء . فى اثناء السير المستعصى الشاق تقع الفتيات وقد أنهكهن التعب واحدة فقط تبقى . تظل واقفة على قدميها وتمثل دور رئيسة الكورس ، وربما أنه قدر لها أن تعى المأساة وعيا كاملا ، ولهذا تقص ، قبل أن تنهار هى ايضا فى مقدمة المسرح ، قصة الأفراد الثلاثة التائهين فى الصحراء ، أى حسن ومصطفى والمراة المتوحشة وهم يأتون بحركات وبأعمال تتفق مع ما تكشف عنه رئيسة الكورس فى حديثها ، ولابد أن يحدث كل هذا فى تنسيق تام لأن حركتهم يجب أن تكون صامتة حتى تكتسب وضوحا وابرازا) .

رئيسة الكورس : بعد الخطف ، يسيرون ، يسير ثلاثتهم والجيش يطاردهم ..

(طلقات رصاص) .

بدون ماء ، بدون خبز ، بدون رصاص .. أنهم

يســـيرون حتى يجن جنونهم وسيثير هذيان الصديقين فى حضور المرأة .. التنافس بينهما .

(يسقط خمـــار المرأة المتوحشـة ولا تقوى على استرداده . يظهر جمالها) .

وتقول نظراتهما لم لا نفنى فى هذيان آخر يكون فيه عزاء أكبر ؟

(تتعرف على نجمة) .

لم لا يطفأ نور حياتنا بين ذراعى المـــرأة ؟ .. ولكنها ، وقد زاد توحشـها ، على حدة تحت أشعة الشمس الساطعة والوقاحة تماؤها وفى أثنـــاء الليل وكأنها تؤكد أبعاد مطلعهم المرصع بالنجوم .. نعم ، انها تسير ، ولكن على حدة .. والمأســاة لا تزال قائمة على غير علمها .

(لحظة .. فترة سكون .. يرى حسن ومصطفى وقد وقفا وجها لوجه) .

رئيسة الكورس : (تتعجل فى الكلام) نفس النظرة المتبادلة تصعق الصديقين ، لقد أدرك كلاهما انه لابد أن يقضى على أحدهما .. فيتجمدا على الرمال وكأنهما صخرتان ، ولكن هذا التحدى بمثابة وداع وبمثابة اعتراف بأن هناك صداقة شملها الظلام وهى فى ذروتها ، كاد كل منهما يسكب الدمع ، نعـــم الدمع ، كاد كل منهما يسكب الدمع وهو يطلق النار على أخيه فى نفس الوقت .

(يتبادل حسن ومصطفى طلقات النار .. يسقط حسن .. المرأة المتوحشة .. التى كانت تسير منزوية لم تدرك شيئا من هذا المشهد ، لانه حدث فى سرعة

البرق تنبهها طلقات النار فتستدير وتقع على التو امام جثة حسن) .

رئيسة الكورس : لقد صعقها صدى الانفجار بطريقة غير معقولة ، انها تنحنى ، المرأة المتوحشة انها تجثو على ركبتيها .

(فترة سكون .. يحرك مصطفى مسدسه الفارغ بغيظ ثم يستولى على المسدس الذى وقع من يد حسن ويقذف به بعيدا بنفس الغيظ .. لم يعد هناك رصاص .. يتامل مصطفى طويلا الجسمين والسلاحين الراقدين على الرمال بينما تظهر صورة العقاب فى منظر كبير) .

رئيسة الكورس : انها ساعة العقاب ولا يستطيع الباقى على قيد الحياة شيئا ازاءها .. انه حتى لا يستطيع أن يصوب اليه آلات الموت . يا لسخرية ! . القدر يتوعد بها من فرط فى رصاصة من أجل خائن ، وكان يكفى أن يجدع أنفه ، له جريمتان ، هذا الطالب ، هذا الناشىء ، بعد أن أخذ بثأر صديق، ها هو يصرع صديقا آخر ولم ينته الأمر .

الكورس : انها ساعة العقاب .

رئيسة الكورس : كل حرب هى قتل أخ لأخيه .. كل حرب حقيقية تذكرنا بآكلى البشر .. سفاحى ذوى القرابة .

الكورس : نعم كل حرب شبيهة بحرب اليونان من أجل هلينة : .. من الحب والموت ، الحرب هى أقرب طريق .

رئيسة الكورس : اذا عدنا الى أبعد الأزمنة لوجدنا امرأة متوحشة مشغولة بالتهام الرجال ، بدون حقد ، بدون

رحمة .. منذ الحياة حتى الموت ، اختيارها يظل دائما فيه التباس انها تنتمى الى قبيلة النسر والعقاب .

(دقات جونج .. يخفت الضوء .. نرى مجموعة من الشيوخ تسير الى مقدمة المسرح حاملة لافتة مكتوبا عليها بحروف كبيرة : لجنة الأسلاف المركزية .. ظلمة) .

الكورس : **الأسلاف** (فى الظلام) . نحن الأسـلاف ، نحن الذين نعيش فى الماضى ، نحن أكثر القوم عددا .. ان عددنا يزداد على الدوام .. اننا ننتظر النجدة لنثقل بثقل دقيق على كوكب الأرض ولنمل عليه اوامرنا .. نحن ، أعضاء لجنة الأسلاف المركزية ، تراودنا أحيانا الرغبة فى التحدث الى الأرض .. وفى أن نقول لأبنائنا : تشجعوا ، خذوا أماكنكم فى مراكب الموت .. الحقوا ، بدوركم اسـطول الأسلاف الذى لا يقهر .. والذى أوشـك أن ينتصر على الزمان والمكان .. ولكن الأحيـاء لا يحسـنون العيش أو المـوت ، ولا يذكرون الأسلاف الذين لا يبرحون جدارهم .. ومع ذلك فان المنصت لابد أنه سامع ، والذى لا يهاب تأمل الفضاء سيرى امامه نمو النقطة السوداء التى تسيطر على ذهنه ، وبعد أن خابت كل آمالنا ، اخترنا العقاب ليكون الذكر غير المتوقع الذى يحمل رسالاتنا نعم العقـاب ، ان مروره حكم بالاعدام .. وهو يحلق فوق احتضاركم .. فى تأمله البعيد وبدون توقف ..

رئيس الكورس : (فى الظلام) انها ساعة العقاب .

(عند هذه الكلمات نرى على الشاشة تحت صورة العقـــاب رسما لصف من جنود الأعداء يترقبون الأفق . دقات جونج متصلة) .

(عند مشاهدة الجنود والعقاب المحلق .. يسترد مصطفى وعيه .. ويتذكر أن « حسن » كان لديه خنجر .. انه يفتش فى جيوب ضحيته .. ولكن السلاح الأبيض عاجز فى هذا المقام لا يستطيع أن يرد على طابور بأسره .. يطلق طلقاته الرشاشة ويشرع فى أن يحيط بنـــا على شـــكل نصف دائرة ..)

رئيسة الكورس : لا ســبيل الى الفرار أو الى الخـــداع .. فى هـــذا الفضاء من النور ومن الرمال تتبقى الوخزة اليائسة .. ولكن مصطفى لا يستطيع أن يقامر بمصير المرأة التى يحبها ، ولا يستطيع أن يتخلى عنها .. ولا يستطيع أن يوقظها ، أو ينقذها من العقاب .. ولا أن يحميها من المهاجمين ، ولا يقرر القتل ..

(ظلام على الشاشة . الضوء ينتقل .. ومصطفى ، والخنجر فى يده ، يقترب من المرأة المتوحشة والتى لا حراك بها ، ولكنه يظل فاقد القوة ، ومعلقا بالعمل الأخير) .

مصطفى : ها هى الزهرة مأخوذة بخناقها .. وهى مائلة على ساقها ، وقد وصلت الى نهاية قدرها .. أتترك الزهرة الى أعاصير الرمال ، الى قبـــلة العقاب ؟ أعلى أن أخنق الزهرة او أوافق عــلى ذبولها ؟ أيتها المرأة المتوحشة ان اراقة هــذا

القدر القليل من دمائك انما هو الجريمة الوحيدة التى أرانى محروما منها .. انى لن أكون قط متسترا بما فيه الكفاية أمام المباغتة التى خانها التنافس .. ولن أكون قط متســــترا بما فيه الكفاية حتى أستطيع هدمك ..

رئيسة الكورس : (وهى تظهر أنها تختار القربان) لقد تمنت وهى لم تعاقب ، عنقك الذى لا يعاقب ، دعها تتحطم عليك ..

مصطفى : (وهو يصارع ضرورة القتل) واذا كنت فريسة وسواس ؟ واذا كانت تتوقع منى عفوا ؟ .. وأى قاتل لا يخشى هذه الجريمة التى لا يوجد فيها مذنب .. أأستطيع أن أشوه وجه امرأة ، أن أشوه القدر الساحر ؟

رئيسة الكورس : الويل للفاتح فى كل فتح من فتوحاته .. فالمرأة التى لا تقهر ، حدادها لا ينتهى .

(تتضح معـــالم صورة الجنود على الشاشة على حساب العقاب الذى يضطرب لاقتحام ملكه ، أى الصحراء ، التى هى مشرحته الخاصــة ، وعند اقتراب الجنود ، تنهض فى صر الفتيات اللائى سقطن اثناء السير وينجحن مترنحات فى اللحاق برئيستهن وهنا تحتل الاسطورة مكان الصدارة بالنسبة للتاريخ ، يصبح الكورس ، وقد جمع شمله فى وسط هذا الهذيان الجماعى ، شخصية المأساة الأساسية . أما الكلمة الأخيرة فللكورس ومضمونها أن الانسان لا يملك شيئا ، وعليه فى جو من الغموض أن يشارك الجميع فيما لديه ، قناعه وسره وحتى عاطفته مقابل مستقبل حياته .. هذا جوهرى بالنسبة لحل عقدة المأســاة حيث تظهر الأسطورة أكثر صدقا واكثر

وضوحا من التاريخ .. هـذا يشكل انتقام الكلمة القديمة وانتقام الشعر فى المسرحية على المسرح ، اذ أن الكورس يسيطر على التكنيك فى مواجهـة الشاشة ، ليقدم للعالم الحديث البساطة التى فقد طعمها ومعناها) .

الكورس : (معبرا عن أسفه على مصير المراة المتوحشة) .. لنبك الفريسـة التى تتأخر معرضة لأكثر من حيوان كاسر من أجلها ، ما أكثر العقبان التى تأخذ فى الهبوط ولا تشعر بأجنحتها .

رئيسة الكورس : لنبك الفريسة التى تتأخر ، معرضة لأكثر من حيوان كاسر ..

رئيسة الكورس : لنبك المجرم الذى لم يعد يعرف كيف يحمـل سلاحه .. ان العاشقة بالنسبة له ليست الا أمرا لا أمل فيه ، ولكنه لا يستطيع أن ينتحر ولا أن يحيا ..

رئيسة الكورس : لنبك المجرم الذى لم يعد يعرف كيف يحمـل سلاحه ؛ بالنسبة له خاصة دموعنا قاسية .. واحتقار العذارى الحار ثقيل على ذراعه المتردد .

الكورس : ولكن أنت أيتها المراة المتوحشة .. التى فوجئت فى هروبها وأعيد بها الى بؤسها ، لقد نهبك حب الرجال الذين كانوا يحملونك على مناكبهم أثناء القتال والذين لن تقدم أيديهم على انهاضك من سقوطك ؟

رئيسة الكورس : لقد نهبك حب الرجال الذين كانوا يحملونك على مناكبهم أثناء القتال ، والذين لن تقدم أيديهم على انهاضك من سقوطك ..

مصطفى : مثل الغازى الذى يقيده جرمه ، انى أرحم هذه الفريسة الهاربة وأخشاها . انها تنطفىء فى رماد من يسبقنى ..

رئيسة الكورس : مثل الغازى الذى يقيده جرمه ..

(تسير صورة العقاب على الشاشة ، يسرع فى تحليقه كأنه يريد أن يسبق الجنود) ..

الكورس : (فى قلق شديد) العقاب ، العقاب ، العقاب ، الأسود والأبيض ..

مصطفى : (وهو يهز المرأة المتوحشة) قفى .. ان العقاب يحلق .. ولكنك لم تقعى بعد تحت رحمته .. ان قلبك يأكلك ، انها لساعة العقاب وساعة الكفاح ، اننى أسمع من اجل الحياة ضربات دمك كضربات عاصفة غير اكيدة اسمعها وكأنها على حافة الذعر .. وها أنت ، مهيضة الجناح، فى متناول خاطف آخر ..

الكورس : (مذعورا) ها هو الطائر الجارح الحسود ، انه يخط حولنا دائرة الانتقام ..

رئيسة الكورس : (متوسلة الى الكورس) يمامات الشؤم أهربن .. العقاب كاف لتمزيقكن أهربن يا يمامات الشؤم التى لا يمكن امساكها ، يا جريحات ، أهربن ، مما يكنه الطائر الأرمل من عداء مؤكد .. تنتظرن أن يقوم العقاب القاسى باجراء اختيار من ..

(ينطفىء الضوء .. ظلمة تامة) .

رئيسة الكورس : (بحزن شديد) العقاب .. العقاب .. العقاب .. والعاشق يتزاحمان على الميتة ..

الكورس : (فى الظلمة) .. لنتشجع ، اننا سنلتحم بالملأ الضــارى فى حلبة المنقــار والخنجر اللذين يتلاحمان .. يتلاحمان أخــيرا يعاود الطائر الغاضب تحليقه وتقطر الدماء ، تقطر الدماء ..

رئيسة الكورس : (وهى لا تزال فى الظلمة) .. لقد فقد الرجــل المقنع حتى وجهه ولن يكون عليه أن يترقب العدو المتقدم وليس علينا نحن أيضا الا أن نطاق قذائفنا الأخيرة .

(يسمع فى الظلام طلقات رصاص متلاحقة ، وأصوات المحاربين ثم يعود الضوء شيئا فشيئا على المسرح حيث يسدد الجنود نيرانهم على الكورس المحاط به من كل صوب .. يتحسس مصطفى ـ وقد تلطخ قناعه بالدماء وفقــد هــو بصره نتيجة لضربات العقاب ـ طريقه نحو المرأة المتوحشة التى يركلها الجنود ليتحققوا من أنها فارقت الحياة .. ومن باب المزاح يمسك ضابط بأغلال مفتوحة وهو يتجه نحو مصطفى الذى يسير ويداه ممدودتان .. وفى اللحظة التى يوشك فيها أن يمس للمرة الأخيرة جثة المرأة المتوحشة تطبق الأغلال على معصميه ويتم كل هذا فى لامبالاة عامة .. ثم يظهر العقاب من جديد للمرة الأخيرة على الشاشة منتفض الجناحين ، بينما ينصرف طابور الجنود والأسرى عن خشبة المسرح تاركا الجثتين .. ظلام تام .. دقات جونج ، يأتى صوت الكورس من بعيد) .

الكورس : كلا لن يموت ، انه من أولئك الذين يقضون أزهى ســنوات حياتهم فى السجن ، أو فى مستشفى المجاذيب .. انها ليست المرة الأولى ..

رئيسة الكورس : يحدث دائما أن تفرغ الأساحة من الطاقات .. لقد تحدث الدم كثيرا .. لم تعد العقبان تكفى للاجراءات الصحية الكريهة .. والأرض المسمدة تتطلب فلاحة جديدة .

الكورس : كلا .. لم يحن الوقت لأن نموت ، ليس هـذه المرة .. لقد ماتت المرأة المتوحشة ولكن الحرب اتخذت شخصيتها ، والحرب فى حاجة الينا ..

رئيسة الكورس : ان الأسلاف راضون .. ومنذ أن توصلنا الى حل رموز رسالتهم والى اذابة أغلالهم والى أن نحيا حلمهم وأن نسهر على رقادهم لم يعد فى وسع الأشباح أن ترفع جبينها من جديد .

الكورس : ان الأسلاف راضون .

مسحوق الذكاء

ترجمة	هيدى بانوب
مراجعة	بسيم محرم

« المنظــر »

(يقتصر الديكور على أقل ما يلزم : شجرتان وجانب جدار يكون حاجزا .. شجرة أخرى منزوية ، ونخلة جدباء ، توحى بالصحراء .. ظلام .. اضاءة .. سحابة دخان نائم على حصيرة الحياة الزوجية .. عاتقة ، زوجته ، جالسة فى ركن ، أمام سباطة بلح تنير وجهها شمعة .. سحابة دخان يتقلب على الحصيرة) .

سحابة دخان : أطفئى النور ..

عاتقة : انى أتساءل ما الذى يرهقك ؟

سحابة دخان : أطفئى النور ..

عاتقة : من المؤكد أن النعاس يجافيك .. انك تتقلب وتتقلب .. هل تعرف على الأقل أى يوم نحن ؟..

سحابة دخان : أطفئى النور .. لم أنم منذ ثلاثة أيام ..

عاتقة : لعلك تريد أن تقول انك نمت ثلاثة أيام وثلاث ليــال ..

سحابة دخان : اذن لا شك أنى أحلم .. أطفئى النور ..

عاتقة : ستجعلنى أجن .. نحن نتحرك فى دائرة مثل عقربى الساعة أنت دائما بدون عمل ، وأنا أنتظر ، وأعد الساعات ..

سحابة دخان : هيا يا عقربى الصغير ، نامى ودعينى أنم ، أنت دائما فى عجلة من أمرك لست واثقة من الثورة ؟..

عاتقة : يا لها من ثورة .. منـــذ زواجنا المزعوم وأنت تتحرك فى دائرة كل يوم لقد أداروا رأسك ..

سحابة دخان : أطفئى النور .. ماذا تنظرين اذن ؟ يوم الحساب ؟ هل تستهلكين هذه الشمعة سهرا على ميت ؟ .. أطفئى النور ..

عاتقة : (تفتح باحة وتنفضها) انظر ، يوجد دود فى هذه الباحة ..

سحابة دخان : أرأيت لو كنت سمعت كلامى ، لو كنت أطفأتى النور ، لكنت أكلتها كما يأكلها الآخرون .. ولكنا فى سلام ..

(اظلام ، فترة سكون .. الساعة تدق ست .. دقات جونج .. اضاءة ، عاتقة تفتح عينيها وتهز زوجها) ..

عاتقة : قم ! .. الساعة السادسة ..

(وبما انه لا يجيب تنهض عاتقـــة وتتناول القلة وترش سحابة دخان بالماء) .

عاتقة : قم ! .. لقد طلبت منى أن أوقظك فى السادسة هيا قم .. حان الوقت للبحث عن عمل ..

سحابة دخان : (منتفضا) آه .. أوه .. آه ..

عاتقة : قم ! . لقد رأيت بنفسك .. البيت خـــال ولم يبق لنا حتى قبضة ملح .

سحابة دخان : (ينام مرة أخرى) بعد قليل .. بعد قليل ..

عاتقة : (ترش بالماء) قف .. انها الساعة السادسة ..

سحابة دخان : (مبتلا ، ينهض واقفا على قدميه) آه .. أوه .. آه .. يا بنت المومس ! .. طلبت منـــك أن توقظينى ولكن بغير هذه الطريقة (يلبس ويخرج) .

(اظلام .. اضاءة .. الموكب الملكى يعبر المسرح .. ما زال سحابة دخان مضطربا من أثر النوم يصطدم بفرس السلطان وهـــو فى طريقـه الى الصيد مع حاشيته) .

السلطان : أكان من الضرورى أن ألتقى بوجه النحس هذا فى يوم كهذا ـ وفى الصباح الباكر ـ وفى ابتداء الصيد (الى الشرطى) ألقوا به فى السجن ..

(يأخذ الضابط سحابة دخان .. فترة سكون يدخل الكورس الى المسرح ويختفى وراء الأشجار ، عند دخول الموكب الملكى الذى يعرض لوحـــة صيد مكبرة) .

السلطان : (مترجلا) لن أنسى أنى فى هــذا الصباح ألقيت برجل فى السجن .. الحق أن رأسه كان منفرا. رأس يجلب النحس مع أنى فى حياتى لم أحـظ بمثل هذا الصيد الرائع (للشرطى) هل فكرت فى أن تطلق سراح الرجل المسكين الذى ألقيناه فى السجن فى هذا الصباح ؟ ..

الضابط : لقد فكرت فى ذلك ، ولكنه ..

السلطان : يرفض .. ماذا يرفض ؟ ..

الضابط : يرفض اطلاق سراحه ..

السلطان : يرفض الخروج من السجن ؟ ..

الضابط : يقول انه يريد أن يتحدث اليك ..

السلطان : حسنا .. أحضره .. أنا اليوم فى حالة تسمح أن أصحح أخطائى ..

(يخرج الضابط .. ويدخل سحابة دخان وينحنى أمام السلطان) .

السلطان : هاك خذ هذه الصرة .. كنت قلقا فى هذا الصباح وكنت لا أحب أن أبدأ الصيد بشؤم ومع ذلك فانت والحمد لله لم تجلب لى النحس .

سحابة دخان : انى أتساءل أينا جلب النحس على الآخر ؟ .. ولكن النحس دائما يتحول الى سعادة ، وهـذه السعادة هى التى يجب أن نخشاها لأنها تكون مصدر النحس التالى ، وهكذا .. وهنالك من أسسوا على ذلك مذاهب فلسفية .. (يحيى السلطان ويبتعد) فمثلا لو سرق نشال صرتى هذه لتحققت للأسف نظريتى .

(فترة سكون يدخل السلطان فى الظل ، سحابة دخان يعبر المسرح ويلقى نظرات متشككة على الكورس .. وهـذا الكورس ينقسم قسمين .. ويمشى بدون هدف محدد ويحيى كل قسم من الكورس القسم الآخر ويرد على تحيته الى مالانهاية رئيس الكورس من جانبه يحيى سحابة دخان عند دخوله على المسرح بحرارة على الطريقة الشرقية) .

رئيس الكورس : سـلام ..

سحابة دخان . (يرد على تحيته) سـلام ..

الكورس : (يحيى سحابة دخان) سلام ! . سـلام ! . سـلام ! .

سحابة دخان : (يرد) سـلام ! ..

(فى ذلك الوقت يدور رئيس الكورس ببطء ، متأملا ثم يرد التحية ويقف وجها لوجه مع سحابة دخان .. يحييه بطريقة آلية كأنه لم يره من قبل) ..

رئيس الكورس : سـلام ! .

سحابة دخان : (بدون صبر) سلام ، ثلاثة سلامات .. ألف مرة سلام .. سلام .. سلام ..

الكورس : (يرد عليه) سلام .. سلام .. سلام .. سلام .. سلام .. سلام .. سلام ..
(دقات جونج .. يصفع سحابة دخان رئيس الكورس) سلام .. وسلام ..

الكورس : (ثائرا لكرامته) باللفضيحة ، فضيحة الفضائح .. فضيحة فضائح الفضائح .. الى القاضى .. الى القاضى .. الى القاضى ..

(اظلام .. دقات جونج .. اضاءة) .

القاضي : انت أيضا .. لماذا ضربت هذا الرجل ؟ ..

سحابة دخان : سلام ! ..

القاضي : ماذا تقول ؟ ..

سحابة دخان : (مبتعدا) سلام ..

القاضي : الى أين انت ذاهب ؟ ..

سحابة دخان : (يبتعد اكثر) سلام ! ..

القاضي : اوقفوه ..

سحابة دخان : (ما زال يبتعد) سلام ! ..

القاضي : لا يهمنى سلامك .. أجب على سؤالى ! ..

سحابة دخان : أجب أنت أولا على سؤالى : أليس مما يثير الحنق أن نسمع التحيات التى لا تنتهى تحيات جميع أبناء المدينة الشاحبين ، هؤلاء الباعة الذين يبيعون كل شيء ولا شيء ، هؤلاء الجواسيس

المشئومون .. هؤلاء الخبثاء ، الذين ينتظرون بأدب ظاهرى أن يقع فى أيديهم الطويلة ساذج أو فيلسوف أو عامل فيفقد ماله أو حياته (يبتعد أكثر) سلام .. مائة مرة سلام .. سلام .. الى جميع الماكرين فى العالم ..

(يدخل القاضى فى منطقة الظل .. يعبر سحابة دخان المسرح من جديد بنفس النظرات المتشككة متجها نحو الكورس المختفى وراء الأشجار) .

رئيس الكورس : سلام يا فيلسوف .. الى أين تذهب بهذه الخطى الثابتة ؟ ..

سحابة دخان : الى الوراء يا رعاع .. أنا أيضا نشال قديم .. أترى هذه الصرة ؟ انه السلطان بنفسه الذى أعطاها لى .. توا .. ومعها خطاب يشير فيه الى على أنى فيلسوف كبير ، أكبر فيلسوف أنجبه هذا العصر دون شك ..

رئيس الكورس : انه يفتخر ..

الكورس : انه يفتخر ..

سحابة دخان : (كالمجنون) الى الوراء يا رعاع ..

رئيس الكورس : (وهو يختلس صرة النقود بخفة يد) قل لنا على الأقل ماذا ستفعل بكل هذا الذهب ؟ ..

سحابة دخان : أولا سأشترى حمارا ..

رئيس الكورس : حظ سعيد .. نرجو أن تقع على حيوان طباعه أحسن من طباعك (الى الكورس) يا له من متكبر ! (الى سحابة دخان) قل على الأقل .. أن شاء الله ويكون يومك سعيدا ..

سحابة دخان : أراد الله أم لم يرد .. السوق قريب من هنا
والحمير كثيرة .. ومعى صرة السلطان ، ولا أرى
ما دخل الله فى هذا ، بالله أو بدون الله سأعود
بحمار ..

رئيس الكورس : يا له من تجديف .. تجديف فظيع ..

الكورس : يا له من تجديف .. من تجديف ..

(سحابة دخان يهرب .. فترة سكون يعود الكورس
الى مقدمة المسرح ويدخل سحابة دخان ثائرا) .

رئيس الكورس : (متهكما) سلام يا فيلسوف ! ..

الكورس : (متهكما) سلام يا فيلسوف ! ..

رئيس الكورس : أين اذن حمارك (الكورس يرقص حول سحابة
دخان) الحمار .. الحمار .. أين اذن الحمار ؟..

سحابة دخان : (وهو يطرد الكورس بعصاه) الى الوراء ..
ان شاء الله .. يا رعاع .. ان شاء الله ..
يا طيور الشؤم .. ان شاء الله .. الى السوق..
ان شاء الله .. لقد اكتشفت ان شاء الله ..
ان صرة نقودى ان شاء الله .. يا قطاع
الطرق .. ان شاء الله يا أوغاد ..
ان شاء الله ..

(فى كل مرة يقول ان شاء الله سحابة دخان يوجه
ضربة بعصاه الى مجموعة الهاربين .. اظلام ..
اضاءة) ..

عاتقة : ماذا تنتظر لكى تتوجه لقطع الخشب ؟ ..

سحابة دخان : كلام عظيم .. أحسنت يا امرأة .. انت موهوبة
أكثر من اللازم فى اعطاء الأوامر ..

عاتقة : اذهب واقطع خشب ..

(سحابة دخان يبتعد ممسكا بمنشار ويصعد على شجرة يتربع على أعلى فرع وينشر وهو فى حالة سهو .. وفى كل مرة يتعلق المنشار بالخشب ينتقل الى فرع آخر .. ويصل به الحال الى نشر الفرع الذى يتربع عليه ينكسر الفرع .. سقوط .. فترة سكون سحابة دخان بلا حراك) .

سحابة دخان : أنا بردان .. اذن أنا ميت ..

(فترة سكون يدخل الكورس على المسرح) ..

رئيس الكورس : (يتحسس سحابة دخان) انه بردان ..

الكورس : اذن هو ميت ..

(دقات جونج .. يحمل الكورس سحابة دخان فى غطاء .. فجأة يتوقف الكورس) .

الكورس : هناك طرق كثيرة تؤدى الى المقابر ..

رئيس الكورس : فلنسلك أقصر طريق ..

الكورس : انه ليس الطريق الأسهل ..

سحابة دخان : (يرفع رأسه) لا تتشاجروا .. عندما كنت حيا .. فى حياتى كنا نسلك أول طريق يقابلنا .

(حالة ذعر .. يتفرق الكورس .. اظلام .. اضاءة .. سحابة دخان مستندا الى شجرة البرتقال ممسكا حمارا من لجامه .. الكورس ينتشر حوله) ..

رئيس الكورس : ماذا تفعل وحدك مع هذا الحمار ؟ ..

سحابة دخان : أتأمل .. ريثما يفتح السوق .. وأتساءل أين هو السيد ؟ .. وأين هو العبد ؟ هل هو الحمار أم أنا ؟ ..

رئيس الكورس : هل فى استطاعتنا أن نقدم لك خدمة ؟ ..

سحابة دخان : لا شىء .. أريد فقط أن أكون فى عالم يعيش الناس والحمير فيه كل منهما فى ناحية .. أقول هذا دون أن انقص من احترامى لكم ..

رئيس الكورس : اترك لنا حمارك وقم بنزهة .. سوف تغير أفكارك ..

(سحابة دخان يترك الحمار وينصرف .. تتبعه همهمات الكورس) ..

رئيس الكورس : (الى الكورس) خذوا الحمار .. ولكن اتركوا لى اللجام : واختفوا سريعا .

(اظلام .. اضاءة .. يختفى الكورس والحمار .. يدخل سحابة دخان الى المسرح) .

سحابة دخان : أين حمارى ؟ ..

رئيس الكورس : (واللجام حول رقبته) تحت أمرك ..

سحابة دخان : أكلمك عن الحمار ..

رئيس الكورس : الحمار هو أنا .. انها لعنة من والدتى قد حولتنى هكذا ..

سحابة دخان : هذا الرجل على ما يبدو يظن نفسه حمارا ، وأنا الذى أظن نفسى رجلا .. من الممكن اذن أن أكون حمارا .. لابد أنى وقعت فريسة وهم مزدوج ..

(اظلام .. اضاءة .. يتحول الكورس الى مجموعة فلاحين تبيع الحمير فى السوق ورئيس الكورس يمسك حمار سحابة دخان) .

رئيس الكورس : لعل فيلسوفنا لا تجره قدماه الى هنا ..

(يدخل سـحابة دخان الى المسرح ، ويتجه الى حماره) .

سحابة دخان : سلام ..

رئيس الكورس : سلام ..

سحابة دخان : أنا لا أتحدث اليك .. انى أكلم الحمار ..

رئيس الكورس : لا حرج عليك افعل كما لو كان حمارك ..

سحابة دخان : (الى الحمار) حمار أنت وحمار ستبقى ..

رئيس الكورس : لا تعذبه ، انه ليس الا حماراً ..

سحابة دخان : (الى رئيس الكورس) تتظاهر بأنك حمار لتأخذ الحمار ..

رئيس الكورس : هل توجه الكلام الى الحمار ؟ لا انه لا يستطيع أن يجيب وانت تعرف هذا جيداً ..

سحابة دخان : كان عندى حمار واحد ، والآن أجد اثنين .. معجزة أخرى ..

(ينقض على رئيس الكورس ويأخذه من اللجام ويربطه فى شجرة البرتقال) .

حمارى القديم يكفينى .. أما أنت فاذا كانت اللعنة هى التى حولتك الى حمار فمن الجائز أن تسترد فى يوم من الأيام رأسك رأس ذئب عجوز .. ابق حيث أنت .. ابق حيث أنت .. وأنا أيضا أعود الى وضعى .. وأعترف بأنى سلكت حتى الآن سلوك حمار .. تركت نفسى لتنخدع بأبهة السلطان الجوفاء وجعلت منى هذه

الأبهة رجلا مريضا .. انه سم بمعنى الكلمة .. ولكنى بدأت أفهم .. نعـــم فهمت أن ذهب السلطان يجب أن يستخدم ضده .. انه قانون التناقض الداخلى لرأس المال .. صه .. نعـم اخترت الكمياء .. ان نرجيلتى لم تعد تفارقنى وأصحاب الألسنة الطويلة يسموننى ســحابة دخان .. وكل الذين لهم أسنان طويلة يعتبروننى مجنونا .. ولكن المجنون هو الذى يعتقد انه مجنون .. وأنا ممن لا يصدقون بســهولة ، ومعرفتى تتركز فى ثلاثة مبادىء .. أول مبدأ ، ذهب السلطان ، وهذا ما أفعله به ..

(يقتسم فى جيبـه ويعطى قطع النقود المتبقية الى حماره على هيئة لبوس) .

المبدأ الثانى .. سنرى ما سنرى ..
المبدأ الثالث ..

(يدخل السلطان على المسرح ويتبعه الكورس وهو يهتف له بجنون) ..

برافو .. سيكون فى استطاعتى على الفور تحقيق اكتشافى فها هو ذا الســلطان .. سكوت .. سأبين للشعب كيف يفهم السلطان الاقتصـــــاد السياسى ..

(يعبر السلطان مرة اخرى المسرح سحابة دخان يدنو منه فى حزم) .

أيها السلطان أراك حزينا ، وأعرف ماذا ينقصك .. انك محروم من الأشياء الثــلاثة التى تشكل

سعادة كل انسان كبيرا أكان أم صغيرا .. الذكاء ، والذهب والحب .. أما عن الذكاء والحب ، فسوف نعود اليهما فيما بعد ، انهما ليسا الا معادلين . والشيء الجوهرى هو أن تحصل على جبل الذهب الذى يسمح لك بشراء كل شيء .. اسمع ومن كثرة دراستى للديانات الكبرى فى هذا العالم عثرت على مخطوط قديم جدا يتحدث عن حمار مقدس .. نعم .. حمار هو أحط الحيوانات ولكن له هذه الموهبة هو انه يلقى بالذهب بدلا من الروث .. أنت والحال هذه لا تجهل أن الحيوان الذى يعلف جيدا فى استطاعته أن يخرج أكواما هائلة ..

(يهز السلطان رأسه) ..

سحابة دخان : شهادتك فى هذا الموضوع ترتكز فى رأيى على أساس سليم .. بالاختصار هذا الحمار لى الشرف أن أقدمه لك .. بعد كثير من الدعوات .. وجدته أخيرا ، ينتظرنى مربوطا الى شجرة برتقال .. الرمز بالغ الوضوح .. ولكى أحسن عملى يجب أن أكرمه بأن أضعه على سجادة ثمينة يا (ينادى على الكورس) أحضروا لى سجادة بأمر السلطان ..

(رئيس الكورس يحضر سجادة ويفرشها .. سحابة دخان تحت حوافر الحمار) .

لم يبق لنا الا أن ننتظر ، لأن الحيوان محشو تبنا

ولكى أحسن عملى يحسن أن نعمل فى جنح الليل لأن السحر ينفر من الضوء .. واذا كنت اقوم بعمل فى وضح النهار ، فليس هذا الا لأثبت لك انى لست دجالا — وفى حالة ما اذا كان لديك أدنى شك ..

(لحظة ثم بصوت متميز تقع ثلاث قطع من الذهب وتتدحرج خلف الحمار) .

السلطان : يا للمعجزة .. يا صاحب الأفضال على المملكة ..

رئيس الكورس : يا للمعجزة .. معجزة المعجزات ..

سحابة دخان : هذا لا شيء .. عندما يتغذى هـــذا الحمار العجيب — لأنه ليس حيوانا من السوقة ولكنه مقرب الى الله ، مختار من المختارين يملأ وقته بالتفكير — أقول اذا تغذى هذا الحمار المقدس على عاف ملكى واســـتطاع بأبهة فى حضرة كل الشخصيات المدنية والعسكرية والدينية أن يريح بدنه على سجادة أثمن من هذه — لأنه يحب التكريم وله نبله الخاص — فى هذه الحالة ايها السلطان تحتار ماذا تفعل بكل هـــذا الذهب العجيب .

(اظلام .. اضـــاءة .. العلماء والمفتى والقاضى والسلطان وهم حول الحمار وقد انتفخ لكثرة ما أكل من الحشيش اللذيذ ، وهو فوق ســـجادة ثمينة سحابة دخان يقف فى مواجهة الجميع ويقود العملية السحرية فى لهجة اصبحت متعجرفة) .

سحابة دخان : أطفئوا النور .. (ينطفىء النور) استسلموا

للوحي .. وحينما تسـمعون صـوتا مميزا يا فضيلة المفتى وأنتم يا أكثر العلماء حكمة مدوا أيديكم فى آن واحد نحو السجادة وستلمسون لتوكم ثمن الايمان ..

(لحظـة .. نسمع العلمـاء والمفتى يهمسـون بدعوات) .

السلطان : ثم ماذا ؟ .

المفتى : حقا انى لا ألمس شيئا صلبا ..

سحابة دخان : لا تيأسوا انه فى البداية للذهب سائل ..

المفتى : ربما كان الحمار مريضا ؟ لقد أطعمتموه أكثر من اللازم .. اننا نغوص فى مستنقع حقيقى .. وليس هناك أية قطعة ..

السلطان : ربما خدعكم الظلام ..

سحابة دخان : حسنا فليكن النور ..

(يسلط الضوء على السجادة التى تفيض روثا) ..

سحابة دخان : يا للشؤم .. لقد سحر العلماء حمارى ..

السلطان : لا افهم شيئا ..

سحابة دخان : أيها السلطان .. انصفنى .. سأثبت على الملأ أن هؤلاء الشياطين ، دون أن يدركوا أنهم يتسببون فى خرابك وهم يعملون على خرابى .. ودون أن يفكروا فى السعادة التى كان الحمار السحرى سيجلبها على المملكة .. لعبوا علينا هذه اللعبة .. لكى يستطيعوا أن يصنعوا الذهب فى الخفاء كما هى عادتهم على العموم .. نعم عندى الدليل ..

يكفى ان يعلف كل هؤلاء العلماء وعلى رأسهم المفتى ، وأن يوضعوا على السجادة وحينئذ سترى بعينيك ، وسيتحقق الشعب ، حتى لا يبقى هناك أدنى شك .

(اظلام .. اضاءة .. الكورس منتشر حول المسرح .. فى الوسط ، العلماء والمفتى مصطفون على شكل نصف دائرة على اليمين .. سحابة دخان .. السلطان مواجها لهم .. لحظة اظلام) .

سحابة دخان : تشجع أيها السلطان .. فتش بعزم فى هذه الخرائب المقدسة هل عثرت على شيء ؟ ..

(لحظة اظلام .. اضاءة .. دقات جونج متصلة .. اضاءة سحابة دخان وحده أمام شجرة البرتقال يتأمل) .

سحابة دخان : عشرون عاما من التفكير الفلسفى .. خمسون أو مائة مجلد أنتجها رأسى ، ولم يطرق ببال أحد تفكير بسيط فى أن يدونها بدلا منى ، لا الشعب ولا السلطان يريدون أن يقروا بأن الفيلسوف فى حاجة الى كثير من المال .. وحتى الى سكرتير .. ليكون منطلق الفكر حقا .. غير أن هذا الذكاء الجميل . بدأت ان أفقده .. لكثرة الرءوس الضخمة التى أصطدم بها .. أعداء الفلسفة .. اخترعوا العمامة .. لتكون حاجزا يحمى من كل معرفة جماجمهم الخاوية .. لم يعد لى عمل فى هذا البلد .. وهأنذا فى عنفوان العمر .. دون مال أو معاش .. وأنا الذى كان يطلق عليه اسم والد الشعب لم أعد الا آخر أيتامه ..

(يمر رجل يجر حمارا محملا بالرمل .. يتعثر الحمار أمام سحابة دخان وتقع حمولته يختفى الرجل وحماره) ..

سحابة دخان : يا له من رمز قاس .. ماذا كان يعنى هـذا الحيوان وهو يضع كشف حسابه أمامى ؟ ..

(يظل لحظة ساكتا ينتشر الكورس حوله) .

رئيس الكورس : ها هو المجنون ها هو سحابة دخان .. ها هو يتعبد أمام كوم من الرمل ! ..

الكورس : يا له من مجنون مسكين ! .

سحابة دخان : دعونى أفك رموز هذه الرسالة .. فكل شيء رمز لمن ليس عنده ما يقوله ..

(اظلام .. اضـاءة .. سحابة دخان أمام كومة الرمل .. لم يتحرك يذرع الكورس المسرح) .

سحابة دخان : (على حدة) لا تكف شعبيتى عن النمو .

(فترة سكون يقف سحابة دخان فجأة .. اظلام .. اضـاءة .. اختفت كومة الرمل .. دقات جونج متصلة) .

سحابة دخان : (متوجها الى الكورس ليجمعه حوله) يا أبناء المدينة .. يا أبناء المدينة لقد حققت لكم الثراء .. اكتشفت توا اكتشاف العمـر .. اقتربوا .. اقتربوا لقد اكتشفت المبدأ الذى سيحولكم جميعا الى سلاطين دون أى مجهـود .. يكفى أن تتنفسوا .. اقتربوا ..

رئيس الكورس : (يقترب) انه بعيد كل البعد عن استرداد عقله ..

سحابة دخان : اقتربوا .. اقتربوا .. لم اجعل خيالى يعمـل

عبثا ، كونوا شهودى .. ان ما اكتشفته يكمن فى كلمة واحدة ، انه مسحوق الذكاء ، الذكاء .. نعم الذكاء .. اقتربوا .. انى أفتح اكتتابا .. عملت طول حياتى حتى انتهيت الى هذه المادة السحرية (يعرض كيسا صغيرا) الذكاء .. الذكاء .. انى أفتح اكتتابا ..

(يصبح الجمع ضخما كبيرا . يندس شرطى بين الصفوف) .

رجل الشرطة : انصرفوا ، انصرفوا .. تعلمون جيدا أن علماءنا منعوا السحر ...

سحابة دخان : ... لكى يحتكروه ..

رجل الشرطة : (قافزا) يا الهى انه مجنون الصحراء ..

(يقوده بعنف) .

رئيس الكورس : ليس هذا عدلا ، يقول انه عثر على مسحوق الذكاء ..

رجل الشرطة : (مهزوزا) مسحوق الذكاء ؟ ..

الكورس : (مقطعا الكلمات) عند السلطان ! . عنـــــد السلطان ! ..

(اظلام .. اضاءة .. السلطان وحده يدخل .. سحابة دخان وقد أمسك به الجندى بعنف) .

السلطان : هذا المجنون مرة أخرى ! ..

رجل الشرطة : لقد كان يثير الناس فى الميدان العام . انه يدعى أن لديه مسحوقا ..

السلطان : مسحوقا سحريا ؟ ...

سحابة دخان : يجب أن أقول لك انى لم أفكر فى هذا التركيب من أجل السلطان ! . اذا اردت أن تستفيد من اكتشافى يجب أن أعيد النظر فيه آخذا سموك فى الاعتبار .

السلطان : خلاصة الكلام أن مسحوقك لم يستكمل التركيب ..

سحابة دخان : انى اذا أردت فما على الا القيام بحركة واحدة..

السلطان : اذن ماذا تنتظر ؟ ..

سحابة دخان : أخشى ألا أكافأ على جهودى ..

السلطان : (الى رجل الشرطة) جره الى السجن واذا استمر فى السخرية منا فخذ منه أيضا مسحوقه بالقوة ..

سحابة دخان : ها نحن قد ابتعدنا عن الذكاء .. فلم الغضب ؟.

السلطان : اذن أعد المسحوق ..

سحابة دخان : (يقول عبارات محددة) واك ، واك .. يا سلطان السلاطين سينطلق ذهنك فى الفضاء سوف تلحق بالأنبياء وربما بالخالق ..

السلطان : لا تكفر .. هل كل شىء معد ؟ ..

سحابة دخان : مصيرى بين يديك ..

السلطان : (يأخذ الكيس) أعطنى (مستدرجا) هل الكمية كافية ؟ ..

سحابة دخان : يوجد ما يكفى لأربعة سلاطين ان لم تكن الحاكم الوحيد على هذه الأرض ..

السلطان : (يشير الى عشيقة صامتة) انها التى أخصها بحبى لم أصل حتى الآن الى استئناسها .. انها ستأخذ أيضا قليلا من هذا المسحوق سيساعدها بدون شك على أن تفهمنى ..

سحابة دخان : من الأفضل أن تبدأ بنفسك ..

السلطان : لنرى اختراعك (يفتح اللفة) كيف تسميه ؟.. مسحوق الذكاء ؟ ..

سحابة دخان : قبل كل شيء أوصيك بأن تستنشق بسرعة جدا .. وبقوة جدا .. تشجع يا سلطان السلاطين ربما ستطير ! ..

السلطان : (يستنشق الكيس) يخيل الى أنه رمل ..

سحابة دخان : أترى .. لقد بدأت تفهم ..

(طرقات طويلة على الجونج .. سحابة دخان يختفى يتبعه رجل الشرطة فترة سكون) .

السلطان : أحس بشعور غريب .. يبدو أن هذا المجنون على حق .. أحس بشعور غريب ربما كان هو الذكاء ..

(اظلام .. .. اضاءة .. عاتقة نائمة .. سحابة دخان .. تدق الساعة .. دقات جونج) ..

سحابة دخان : (مترنحا) سلام امرأة ..

(عاتقة تزوم ، تتمطى ، وتشير فى سكوت الى طبق طوق المائدة المنخفضة ثم تعود الى مكانها على الفراش) .

سحابة دخان : يشرق النهار هل تسمعين الديك ؟ ..

عاتقة : ....

سحابة دخان : انهضي يا امرأة وصيحى صيحة النصر ..

عاتقة : ....

سحابة دخان : صيحى صيحة النصر .

عاتقة : يوه .. يوه .. يوه ..

سحابة دخان : بصوت أعلى ..

عاتقة : يوه .. يوه .. يوه ..

سحابة دخان : باقتناع أكثر ..

عاتقة : (بصوت عال جدا) يوه ، يوه ، يوه ..

سحابة دخان : أزف اليك بشرى عظيمة .. نحن الآن أغنياء ..

عاتقة : ....

سحابة دخان : أصغي لى .. منذ هذا المساء ، أنا صهر السلطان ..

عاتقة : ....

سحابة دخان : بالضبط .. ابنة السلطان .. حسن .. أرى فى وجهك سمات الأيام السيئة الشؤم ..

(اظلام .. اضاءة .. عاتقة غارقة فى تفكيرها .. يدخل سحابة دخان يحمل السجاجيد واللفائف) .

سحابة دخان : اف .. خيرا .. العرس غدا ها هو اثاث المنزل كل هذا ، حصلت عليه بالتقسيط .. غير معقول .. بالتأكيد .. كل شيء تغير .. أنا صهر السلطان البائعون يعرفون ذلك .. لم تعد الا مسألة ساعات .. من الغد أريد أن أنتهى من الاجراءات .. هيا يا امرأة فلتكونى سعيدة ..

ماذا تخشين ؟ .. منافسة هى فى سن والدتك..
اليس هذا من فعل السماء ؟ ..

(عاتقة ، عابسة ، لا تجيب) .

سحابة دخان : على راحتك فلننم .. لقد مشيت كثيرا اليوم ..
(ينام بجوارها ويتغطى بكل السجاجيد التى كان يحملها على ظهره) .
آه .. كم هو جميل النوم تحت ما أنعم علينا به الحكم المطلق من ثقل ! ..

(فترة سكون سحابة دخان غارق فى النوم .. عاتقة تنسحب خارجة من فراشها تأخذ مقصا وتشرع فى قص السجاجيد) .

عاتقة : (بين أسنانها) حتى اذا اضطر فى الأمر أن أقضى الليلة بأكملها ، سأقضى على آخر شعرة من شاربك ! ..

(اظلام .. اضاءة .. سحابة دخان يستيقظ بين المعالم المهدمة لقد فقد شاربه) ..

سحابة دخان : سأتعلم من هذا ألا اطيل الكلام مع النساء
(ينهض) ..

عاتقة : انتظر لابد أن أقول لك .. منذ زمن وجلالته يرسل لى وسيطاته ..

سحابة دخان : سنرى سأدعو فعلا حماى على العشاء ..

(اظلام .. اضاءة .. السلطان بعد أن رحب به سحابة دخان يخلع حذاءيه ويجلس أمام المائدة المنخفضة تبقى عاتقة جانبا) .

سحابة دخان : مرحبا بك فى هذا المسكن المتواضع يا سلطان

السلاطين .. (على حدة) لكن ما العمل لتغذية هذا الغول الشره ؟ (يتجه نحو مقدمة المسرح) صبرا يا زوجتى العزيزة ..

عاتقة : ما العمل ؟ ليس عندنا شيء ولا حتى حفنة ملح ..

سحابة دخان : ضعى ماء ليغلى واعتمدى على بعلك ..

(تختفى عاتقة .. سحابة دخان يستولى على حذاء السلطان ويخرج .. فترة سكون .. السلطان .. لكى ينبه الى وجوده يتنهد بعمق .. عاتقة تعود تحاكى السلطان فيما يفعله وتتظاهر بالخجل) .

السلطان : يا من لا مثيل لها بين النساء ، اطلبى منى كل ما تريدين ! ..

عاتقة : لا أجرؤ ..

السلطان : قبلة ، قبلة واحدة .. آه .. انك تقتليننى ! ..

عاتقة : لا يا صاحب الجلالة .. لا أجرؤ أنا هوائية جدا .. (على حدة) عسى ألا يكون الآخر عند بائع النبيذ ! ..

السلطان : ما تريدينه ستحصلين عليه .. قبلة .. فقط ..

عاتقة : اذن أريد .. أن أمتطيك ، أن أتسلق على كتفيك ، أن ألعب معك .. ترى جيدا .. أنا هوائية جدا ..

السلطان : (منشرحا) بالعكس ، شيء لطيف ، عذبينى انى أتقبل كل شيء منك ..

عاتقة : (تقفز على كتفيه) شيه (حا) انهض يا جمل !..

السلطان : (يزحف على ركبتيه) آه انك تقتلينني ..

عاتقة : أسرع من هذا .. قف على أرجـــل أربع .. وسأعطيك شيئا أحسن من قبلة ؟ ..

(ينفذ السلطان طلبها وسعادته غامرة حتى أنه يصهل) .

سحابة دخان : (يحضر فجأة) أيها السلطان انك رائع ! . هيا يا زوجتى العزيزة قدمى الطعام لسلطاننا العظيم وسيسترد عبقريته .. انه معتاد على نظـــام آخـر ! ..

(السلطان يلهث ولا يعرف ماذا يفعـل .. عاتقة تختفى ويتبعها سحابة دخان وهو يعود حاملا طبقا كبيرا يتصاعد منه الدخان .. يأكل السلطان لكى يظهر فى مظهر يليق به) .

السلطان : ممتاز ، لذيذ ، ممتاز ! . (على حدة) يا لها من امـرأة ! ..

سحابة دخان : قبل كل شىء لا تضايق نفسك ..

(فترة سكون .. سحابة دخان يجلس بجوار السلطان يقضون على محتويات الطبق ثم ينهض السلطان ليعرب عن شكره) .

السلطان : (يقول العبارة المألوفة) اللهم زدهم من نعمتك..

سحابة دخان : (بغموض) لا تشكرنى .. لقد أكلت على نفقتك الخاصة ..

السلطان : (هائما على المسرح) حذائى .. أين حذائى ؟ ..

عاتقة : (تظهر خلف زوجها) هل يمكن لجمل أن يكون على هذه الدرجة من البلاهة حتى يفقد حذاءه؟ . .

السلطان : (بين أسنانه وهو ينسحب) سوف أقرع باب المفتى ليشاهد قدمى الحافيتين واذا لم يأخذ بثأرى ، قطعت رأسه .. سوف نحارب هذا الفيلسوف المدعى على أرضه ، ونبلغ زوجته وكأنها بيضة فى عش ثعبان ..

(اظلام .. اضاءة .. الكورس يحتل المسرح وفى أيدى أفراده مكانس) ..

اول كناس : (ينظر الى السماء) بعد قليل تحل ساعة الافطار ..

ثانى كناس : انتظر على الأقل حتى غروب الشمس ..

اول كناس : أقول لك انها الساعة ..

ثانى كناس : أقول لك لا ..

اول كناس : اسكت ! ..

ثانى كناس : وغد ! ..

اول كناس : جبان ! ..

(ضجة ناتجة عن مشاجرة ضربات بالقشات .. سحابة من التراب .. اظلام .. اضاءة .. الكورس أخلى المسرح .. السلطان على عرشه .. يدخل المفتى) .

السلطان : يا حضرة المفتى ، الساعة خطيرة لقد حل الشقاق بين النفوس وكل عام وفى كل رمضان نفس الاضطراب .

المفتى : أنى أفعل ما فى استطاعتى أنى أدفع أجر المؤذن وأكلفه بأن ينقب فى السماء وأن يعلن بدقة عن

نهاية الصيام وأرسل كل عام رسلا الى القاهرة وتونس لكي يستشيروا كبار العلماء والمصيبة أنهم لا يتفقون أبدا ..

السلطان : أعلم كل هذا لكن الشعب ليس له أن يعرف ذلك .. يكفيه تقشفا أن يصوم طوال شهر بأكمله ولا يقبل الشك عند علماء الشريعة وما دامت السلطات الدينية على غير منفعة ، فلنلجأ الى فلكى ، أو الى عالم .

المفتى : فكرة نيرة لم تخطر لى ابدا .. وجدت الحل : نضع فيلسوفنا فى اختبار قاس .. انه وثنى .. ولن يلبث أن يرتكب هفوة .. فنثير الشعب عليه ..

(اظلام .. اضاءة .. عاتقة بمفردها يدخل سحابة دخان فى لمحة البصر) .

سحابة دخان : (مضطربا) مدهش رائع .. ولكنه شيء مريب..

عاتقة : ماذا أيضا ؟ ..

سحابة دخان : المفتى عدوى الأكبر .. لقد وجد لى عملا . وأى عمل .. بالاختصار .. لقد أصبحت نائب المفتى .. لننتظر .. الأمر بسيط جدا ناولينى وعاء ..

(عاتقة مبهوتة تناوله الوعاء) .

سحابة دخان : والآن ، افتحى أذنيك .. كل صباح ، ذكرينى أن ألقى حصوة فى هذا الوعاء وبعدد الحصى عدد أيام الصوم .. الأمر ليس بكل هذه الصعوبة .. لقد أطحت بعلم الحساب .. فترة سكون .. ينام الزوجان على حصيرة الزوجية ..

(اظلام .. يسمع صفير عاصفة .. ثم يضيء النور وتوقظ عائقة زوجها بشدة) .

سحابة دخان : ماذا حدث ؟ ..

عائقة : عاصفة رملية ، وأنت تركت النافذة مفتوحة .

سحابة دخان : يا للشيطان .. والوعاء الذى تركته على النافذة ؟ ..

عائقة : امتلأ بالحصى ..

سحابة دخان : (يعود للنوم) اذن لقد انتهى رمضان ..

(ضربات جونج متصلة ضجةمشاجرة فى الخارج .. ويسمع سباب الكورس .. واصطدام القشات .. ينطلق سحابة دخان الى مقدمة المسرح) .

سحابة دخان : لابد من القبض على زمام الشعب .. والله لقد وقعت فى شر أعمالى .. وكان يجب على أن أرفض كرم المفتى .

(الكورس يكتسح المسرح .. سباب وضربات بالقشات تهدد بأن توجه ضد سحابة دخان) .

الكورس : المفتى أمرنا أن نحضر لمقابلتك .. واذا كان اختارك فانك ملعون تسخر من الله كما يفعل المفتى تماما .. هل لنا أن ننهى الصيام ؟ نعم أم لا ؟ .. ودعنا من الخطب الطويلة ..

سحابة دخان : (مستعينا بكل خبثه) يأيها المؤمنون هل تعلمون ماذا سأقول لكم ؟ ..

الكورس : لا .. لا .. لا ..

سحابة دخان : ربما انكم جهلة الى هذا الحد فما فائدة أعلامكم .. ؟ عودوا غدا (وبهذه الكلمات يترك المسرح تحت أنظار الكورس المبهوت) ..

الكورس : انه يسخر منا ..

رئيس الكورس : بدون شك ..

الكورس : غدا عندما نعود سيكون مضطرا الى الاجابة ..

(الكورس ينتشر .. اظلام .. اضاءة .. سحابة دخان .. الى المسرح) ..

سحابة دخان : (بنفس الأداء) يأيها المؤمنون هل تعرفون ماذا سأقول لكم ؟ ..

الكورس : نعم .. نعم .. نعم ..

رئيس الكورس : بما أنكم علماء الى هذا الحد .. فليس عندى ما أقول لكم ..

الكورس : (وقد خاب أمله) انه يسخر منا ..

رئيس الكورس : كنا نعتقد أننا أحرجناه بقولنا نعم بدلا من لا ..

الكورس : لكل ماكر من هو أمكر منه .. غدا عندما نعود ليقل البعض نعم والبعض الآخر لا .. بهذه الطريقة نفقده صوابه .

(اظلام .. اضاءة .. نفس الأداء) .

سحابة دخان : يأيها المؤمنون هل تعرفون ماذا سأقول لكم ؟ ..

الكورس : نعم ، لا نعم .. لا نعم ، لا ..

سحابة دخان : حسنا هناك من يعرفون وهناك من لا يعرفون .. فعلى من يعرف أن يخبر اذن من لا يعرف ..

(يختفى .. اظلام .. ضربات جونج متصلة — يسمع الكورس وهو يرد الى مالا نهاية .. « انه يسخر منا .. انه يسخر منا .. » اضاءة .. السلطان والمفتى وآخرون من أهل المقامات فى مؤتمر .. فى مقدمة المسرح فى جو مترب كثيف ، الكورس يلوح بالمكانس .. على بعد من المجموعتين .. الكورس والمؤتمر سحابة دخان منهمك فى تدخين غليونه) .

سحابة دخان : يا له من بؤس ، بؤس أسود ، بؤس الفلسفة .. لا تستطيع السلطة شيئا ازاء العقول المتزمتة ، والشعب مع انفعاله للكلمة لا يستطيع أن يسمعنى ، وقد صمت أذنيه .. ضجة .. الحكم ..

(تصدر ضجة من جهة المؤتمر ويسمع صوت السلطان) .

السلطان : ما فائدة الفلسفة .. ؟ وليست النظريات هى التى تأتى بالضرائب .. ان مايلزمنا انما هو الذهب وعقود مع الخارج لكى نخفف عن كاهل الشعب ، والا ننسى من يخدمون الدولة .. الله وحده قادر على مساعدتنا .. حفظ الله شعبنا .. حفظ الله شعبنا ممن يثير دائما الاضطرابات .. حفظنا الله من الرءوس العنيدة، من الفلاسفة ، والشعراء ، والخطباء ، والمجانين، والعلماء . المؤتمر وعلى رأسهم المفتى (مرددا) يحفظنا الله ممن يثير الاضطرابات ..

(ينصرف أعضاء المؤتمر .. أما الكورس فينتشر شيئا فشيئا حول سحابة دخان الذى يستمر فى التدخين وهو صامت) .

رئيس الكورس : (يشير الى سحابة دخان) أنظروا الى هذا الرجل ، به مس من الشيطان انه يعرف علامات المستقبل ، ولا يعمل شيئا ، ويدخن قنب الموت البطىء ، كالهنود ..

(فترة سكون يعود الكورس الى التلويح بمكانسه ويقترب عمدا) ..

سحابة دخان : (مخنوقا) كفوا .. كفوا .. ألم يكفكم هذا الرجل ؟ ..

رئيس الكورس : انها أوامر السلطان قد حكم علينا بعواصف الرمل .. فللسلطان الذهب والتكريم ولنا التراب والذباب .

الكورس : يجب علينا أن نعمل لنعيش ، هذا قول الله ، وما قاله السلطان وما قاله المفتى يجب علينا أن نعمل لنعيش .

سحابة دخان : نعم .. نعم .. اننى أفهمكم ، وأنكم تثيرون الرمل وأنا أهرش رأسى . ما مصير عملكم وما مصير تفكيرى .. ؟ كل شىء يضيع كل شىء ضاع ولكن ليس بالنسبة الى الله والسلطان والمفتى ..

الكورس : (متأففا يطرد سحابة دخان) . تجديف .. تجديف .. تجديف .. (سحابة دخان ، أثناء هروبه يأخذ غليونه ، ولكنه يترك على الأرض جرة) .

رئيس الكورس : (وهو يرفع الجرة) والله انه لفيلسوف بحق ، عقل كامل ، غير منقوص .. انه دائما مع غليونه لكنه لا ينسى أيضا ابريق النبيذ الطازج ..

سحابة دخان : (من الكواليس) أيها العرب لماذا اخترع الخمر وتموتون عطشى ؟ ..

(اظلام .. دقات جونج .. الكورس فى نشوة واضحة يرقص حول الجرة صائحا أكثر فأكثر « تجديف .. تجديف .. تجديف » .. دقات

جونج متصلة .. اظـلام .. اضاءة .. سحابة دخان فى أوج الحــركة .. يسرق بصــلا من حقل) .

سحابة دخان : بؤس .. بؤس أسود بؤس الفلسفة .. ليس هناك عدل أو أن هناك مزيدا من العدل ، مادمت أسرق حاليا بصلا من حديقة المفتى .

(دقات جونج .. يدخل المفتى .. سحابة دخان .. متلبسا بالجــريمة ، يبقى ممسكا ببصلة وهو يبحث عن الوحى) .

المفتى : (سافرا) ماذا تفعل يا فيلسوف ؟ ..

سحابة دخان : انها عاصفة .. عاصفة شــديدة قذفت بى فى حديقتك رغم ارادتى ..

المفتى : وهذا البصل المنزوع ؟ ..

سحابة دخان : حينما أقول عاصــفة فاننى متواضــع لكن فى الحقيقة كانت زوبعة بمعنى الكلمة .. زوبعــة شديدة لدرجة أنى اضطررت أن أتعلق ببصلك خشية من أن تجتاحنى .

المفتى : (يعتقد أنه أوقع بخصمه) وهذا البصل الذى فى عمامتك ..

سحابة دخان : أنا نفسى كنت أتساءل بأى معجزة جاء هــذا البصل عندما حضرت أنت ..

(اظلام .. دقات جونج متصلة .. سحابة دخان يذرع المسرح وعليه علامات الحزن يراقبه الكورس على بعد) .

سحابة دخان : ها هو الشعب يحوم ساخرا هذا بغض النظر عن جواسيس المفتى (يصلى) . يا الهى سامحنى اذا تضرعت اليك فى الشارع ، لأننى لم أجدك فى الجـامع .

(عند هذه الكلمات يطل تاجر غنى من شرفة منزله .. سحابة دخان ، غير مبال يستمر فى الدعاء .. بشكل يدعو لاثارة أكبر عندما يلمح التاجر) .

سحابة دخان : يا الهى ، ثلاث مرات ! ..
يا الهى ، ثلاث مرات ! ..
يا الهى ، ثلاث مرات ! ..

التاجر : (منحنيا) من هذا الكافر .. ؟ كان يجب أن أعرفه .. انه ذلك الفيلسوف المدعى ، هـذا المجنون الحافى ..

سحابة دخان : يا الهى ثلاث مرات .. اسمعنى .. يا الهى .. ثلاث مرات .. هل تسمعنى .. ؟ انى فى حاجة الى مائة قطعة ذهب .. هل تريد أن تعرف ماذا سأفعل بها .. ؟ هذا أمر لا يعنيك . أرسل الى مائة قطعـة ذهب اذا كنت ربى حقيقـة .. ولا تسأل عن الباقى .

التاجر : هل بلغت بأحد الوقاحة الى هذا الحد .. يسخر من الله فى هذه العبارات وتحت نافذتى أنا .. أنا الذى بنيت الجامع .. لا يمكننى أن أسمح لهذا المجنون بأن يجدف أمام الملأ ..

سحابة دخان : (نفس الأداء) يا الهى ثلاث مرات . أرسل لى مائة قطعة ذهب .. مسألة عاجلة .. مائة/قطعة ذهب .. لكى أوسع دائرة أصدقائى ، وأخرج من دائرة دائنى .. مائة قطعة ذهب حقيرة ، انها شيء بسيط أرسلها الى .. أريد مائة بالضبط بلا زيادة أو نقصان .

التاجر : (يبتسم) سوف أسكته نهائيا .. سوف آخذه وهو متلبس بجريمة سوء النية نعم عندى فكرة فى مؤخرة رأسى ، فكرة عبقرية ، رفعت العمامة عن رأسى .. (عند هذه الكلمات يرفع التاجر عمامته ليسنحب من تحتها صرة ويفتحها بخفة) نعم نحن الذين نتجر بالدين نحمل ثروتنا على رءوسنا وأفكارنا تقاس بورق الذهب أيها الفيلسوف المسكين أريد أن أراك تعبد الآله الذى تجدف به وأريد أن أرفه عن أهل المدينة على حسابك ..

(وعند هذه الكلمات يدع التاجر الذهب يسقط قطعة قطعة الى ٩٩ قطعة أمام سحابة دخان الذى يعدها بتأن ومع كل قطعة يسقطها التاجر يحيى حشود الشعب بشكل متحمس وكأنه يشهدهم على ذلك) .

سحابة دخان : تسعة وتسعون .. باقى واحدة .. كنت أعرف تماما أن لا شيء يبلغ حد الكمال ولا حتى أفعال الرب .. مع ذلك كنت لا أعتقد أنه على هذه

الدرجة من البخل تذكر يا الهى انك تدين لى بقطعة ذهب وعندى شهود ..

التاجر : (ثائرا) آه اللص الكافر .. كنت متأكدا من أنه سيتراجع في كلامه .. (الى الكورس) هل رأيتم وسمعتم ؟ .

الكورس : لم نر ولم نسمع شيئا وليس هذا من شأننا ..

التاجر : (ينزل الى الشارع) آه .. يا لصوص يا كفرة.. يا حقراء .. كيف لم تسمعوا ؟ لقد طلب من الله مائة قطعة ذهب بلا زيادة أو نقصان .. ألم ترونى من النافذة ألقىاليه ٩٩ قطعة وضعها فىجيبه؟..

الكورس : لا لم نر شيئا .. ولم نسمع شيئا .. لم يوكل الينا تحقيق العدالة ..

التاجر : نعم أنتم المساكين الجهلة ، الممتلئون قملا ، انكم قط لم تؤمنوا بالعدالة .. أما أنا فمؤمن بها . كيف كنت أستطيع بدون العدل ان أحمى ثروتى من اللصوص أمثالكم .. ؟ العدالة لقد قلتم ذلك .. هيا الى القاضى .. هيا .. هيا ..

(يهز) .

ماذا تنتظر ؟ ..

سحابة دخان : لا أستطيع أن أذهب الى القاضى بثياب مهلهلة.. أما أنت فقفطانك المرصع بالذهب يماؤك ثقة واطمئنانا — أما أنا فثيابى القديمة القذرة تحملنى كل الأخطاء .. (الى الحشود) ما رايكم ؟ ..

الكورس : أنه على حق لا يكون العدل عدلا الا اذا تساوى الناس ، فى المظهر على الأقل ..

التاجر : طبعا ، أنتم متحيزون له .. لكنى سوف أتغلب عليكم جميعا ، أسمع يا عبد .. (يظهر عبد) انزل لى قفطانا مماثلا للذى أرتديه (سحابة دخان) والآن هل تحضر معى الى قصر العدل؟..

سحابة دخان : نعم ، ولكن ألن تمتطى فرسك الأبيض المطعم بالذهب .. وأنا مضطر لأن أمشى على قدمى ، تحت شمس هذا النهار القاسية منذ البداية الظلم واضح ..

التاجر : قسما بالشيطان .. سوف أحرمك من كل أعذارك يا عبد أحضر أيضا فرسا أبيض والآن هل تذهب معى الى القاضى ؟ ..

سحابة دخان : (يلبس القفطان) لا ، ليس الى القاضى .. انه على كل حال ليس الا رئيس المحكمة والآن قد لبست أحسن الثياب أريد أن أذهب الى السلطان الموكله الله .. السلطة المطلقة ..

التاجر : حسنا .. حسنا .. هيا الى السلطان .. ستكون ادانتك أعظم ..

الكورس : (يردد فى مقاطع) الى السلطان .. الى السلطان ..

(اظلام .. اضاءة) .

السلطان : الوقت يمضى بسرعة .. فلنختصر هيا فليشكو الشاكى وليتهم نفسه المتهم ، ولينته كل شىء ..

التاجر : سيدى السلطان .. السلام عليك .. أنت تعرف خادمك بما فيه الكفاية ، وتعرف أننى تاجر شريف لم يبخل بماله فى خير المملكة ولمجد المسلمين ..

السلطان : حق ما تقول نحن نعرفك قل لى شكواك بكل هدوء ..

سحابة دخان : وأنا يا سيدى السلطان لابد أنك تعرفنى .. أيضا ..

السلطان : الكلام للمدعى .. الوقت يمضى .. اذا كنتم تريدون الخطب والاطالة فوكلوا محامين ..

التاجر : لا معاذ الله .. تكفى النقود التى ضيعتها .. المسألة وما فيها أن هذا الرجل سرق منى الآن مائة قطعة ذهب على رأى ومسمع شهود لا عدد لهم .. اتضح انهم متواطئون معه .

الكورس : (متمتما) لم نر شيئا .. ولم نسمع شيئا ..

سحابة دخان : تسعا وتسعين ..

السلطان : ماذا تقول ؟ ..

سحابة دخان : تسعا وتسعين وليست مائة .. تسعا وتسعين ..

السلطان : ماذا تقول .. ؟ بحق الشيطان .. انى لا أسمعك ..

سحابة دخان : حسن دعنا من هذا .. خصمى المبجل يدعى اذن انى سرقت منه مائة قطعة ذهبية لنقف هنا .. انها عقدة الموضوع .

السلطان : نعم تقف هنا . المدعى تكلم .. وعلى المدعى عليه أن يرد دون لف أو دوران .

سحابة دخان : سيدى السلطان كلامك سبائك من الذهب .. سيكون ردى فى غاية الاختصار أقول بكل بساطة ان خصمى مجنون .

التاجر : كيف ؟ ..

سحابة دخان : نعم يا مسكين ، انشغالك بالأمور المالية العليا جعلك مجنونا ، ألم تدع أنى سرقت منك مائة قطعة ذهب ؟ ..

التاجر : بالضبط يا سيدى السلطان . فتشه . ستجد أنه لا تزال معه نقودى .

سحابة دخان : وعلام التعب فى التفتيش . فعلا المبلغ المذكور فى جيبى ناقص قطعة .. لكن قل لى أيها التاجر هل تعتقد أن العالم كله ملك لك .. ؟ بهذه الطريقة التى تتبعها .. يمكنك أيضا أن تدعى أن القفطان الذى ألبسه قفطانك .

التاجر : بالتأكيد أنه قفطانى .

سحابة دخان : (يبتسم) والحصان الذى ينتظرنى أمام الباب ..

التاجر : انه حصانى .. ولمن يمكن أن يكون ؟ الم أعرك اياه من لحظة ؟ ..

سحابة دخان : أعترف يا سيدى السلطان بأن جنون المدعى يبدو لك واضحا .. وانه أصبح مصدر قلق بالنسبة لك .. مجنون .. رفع عدد المجانين فى مدينتنا ..

(التاجر يسكت فى دهشة والسلطان فى حيرة .. الكورس يضحك ضحكات مكتومة .. أخيرا التاجر يقترب غاضبا من سحابة دخان ويصفعه) ..

السلطان : كفى .. كفى .. الزموا الهدوء ..

الكورس : يا لها من فضيحة أيها السلطان انك شاهد على أعمال العنف هذه ..

السلطان : الزموا الهدوء ليس فى الأمـر شيء .. الزموا الهدوء .. أيها التاجر .. أنت محق فى أن تغضب لقد وضعتنى فى مأزق ، كنت على استعداد أن أحكم لك ، ولكن ها أنت قد جعلت من المدعى عليه مدعيا ، ولكننا نعذرك وسخطك يبدو لنا فى محله .. هيا ، انسحب واذهب لتشم الهواء ، سنستأنف هذه القضية حينما يعود لك هواؤك واتزانك اذهب يا صديقى ولا تخش شيئا .. نحن لسنا سذجا .

الكورس : (متمتما) كان هذا متوقعا .. السلطان يحمى انسحاب التاجر ان هذا من طبيعة الأشياء ..

السلطان : الزموا الصمت ، لدى عمل ..

(التاجر ينسحب والسلطان ينحنى على السجل . صمت طويل) .

سحابة دخان : سيدى السلطان ..

السلطان : سكوت ..

(فترة سكون بخطوات وئيدة سحابة دخان يقترب من السلطان) .

سحابة دخان : سيدى السلطان . الوقت يمضى وأنت مثقل بالأعمال .. سوف أساعدك على أن تكون عادلا (يصفع السلطان صفعة) حينما يعود خصمى رد له هذه اللطمة بكل عدالة .

(سحابة دخان يهرب بين ضحكات جميع أفراد الكورس .. دقات جونج . اظلام اضاءة ، دقات جونج متصلة .. السلطان على عرشه . يدخل المفتى) ..

السلطان : قل لى يا مفتى .. هل أنت على علم بهذا الاختراع الالهى .. مسحوق الذكاء ؟ ..

المفتى : (تائها) مسحوق الذكاء .. ؟ آه .. نعم ..

السلطان : كنت متأكدا .. مثل هذا الاختراع لا يمكن أن يكون مجهولا من علمائنا .. فوق ذلك ربما ورد ذكره فى القرآن ؟ ..

المفتى : فى القرآن ، ذكر كل شىء بكل وضوح لم يترك صغيرة أو كبيرة ..

السلطان : كنت واثقا من ذلك اذن فمكانك على رأس المؤمنين لتوزع عليهم هذه الثروة الجديدة هذا الاكتشاف جاء فى الوقت المناسب ليضع حدا لأية مطالب نقابية وما بالك والاختراع أتانا من فيلسوف تقدمى .. انسان مسكين .. والله انه يجهل هو وأمثاله أن فينا من القوة ما يسكتهم ، وفينا من الدهاء ما يكفى لأن نجعل من أفكارهم سلاحا نحاربهم به ؟ ..

(اظلام .. دقات جونج متصلة .. حشد من الرجال ممسكين بمكانس يعملون بها فى دوامة من التراب ، وهم أنفسهم تكنسهم اضواء جهنمية ، لأن السلطات أحضرت لهذه المناسبة كشافات التليفزيون فى مقدمة المسرح يتقدم الحفل السلطان والمفتى وسحابة دخان ثلاثتهم يترأسون الحفل) .

المفتى : (ويداه مرفوعتان الى السماء) نمجدك اللهم يا خالقنا لأنك غمرت فيلسوفنا بحكمتك ، آمين ..

السلطان : آمين ..

الكورس : آمين ..

سحابة دخان : (بصوت أعلى) نحمدك اللهم يا خالقنا .. ندعو لدينك المقدس وللامبراطورية ولسلطاننا بدوام الرفعة .. ونتمنى بقاءهما مؤسسين على الرمال .. آمين ..

المفتى : (يجز على أسنانه) آمين ..

السلطان : (آليا) آمين ..

الكورس : (يكتمون الضحك) آمين ، آمين ، آمين ..

(لحظة سكون . يدخل الكورس فى منطقة الظلام .. السلطان يصرف المفتى بحركة ويمسك سحابة دخان بدون كلفة من ذراعه) ..

السلطان : عزيزى الفيلسوف .. انى أعترف أنى كنت قد شككت فيك ..

سحابة دخان : الشك ليس سوى حبة رمل فى صحراء الايمان ..

السلطان : أنا أحسن استعدادا ..

سحابة دخان : لقد كانت عنايتك تستأثر بك الى حد ما .. أن الرجل ليشعر بحرج فى الساعات العصيبة اذا سلطت عليه امرأة أنظارها ..

السلطان : يا أعمق فيلسوف لك عندى جائزة .. اعتبر نفسك رسميا المؤدب الوحيد لولى العهد .. لا يوجد فى القصر وظائف أعلى من ذلك ..

(الظلام .. دقات جونج .. بجوار المهد حيث يرقد الطفل الملكى ، سحابة دخان ممدد على سجادة ثمينة . وقد استبدل بالغليوم نارجيلة فخمة .. رمزا للثراء) .

سحابة دخان : هكذا المجد .. لقـــد حولنى بكل بساطة الى مرضعة من الآن فصــاعدا .. أنا محكوم على بالعيش نهارا وليلا عند قدمى الأمير .. ومن المستحيل أن أتغيب لقد وقعت فى الفخ الذى نصبته لنفسى ، حيث أصبح لزاما على أن أكتشف ويا له من عبث ـ أعراض الذكاء فى جمجمة هذا المفعوص الذى لا يزال يمص اصبعه .. أى .. ان المصائب لا تأتى أبدا فرادى .. ها أنا محصور كيف أعرف اتجاهى فى هذا القصر الشاسع ؟ ..

(سحابة دخان يدور فى حلقة فى حجرة الأمير .. شـعوره بعـدم الارتيـاح يتضح أكثر فأكثر .. اظلام .. دقات جونج .. اضـاءة .. الأمير غير مكانه .. انه راقد الآن فوق السجادة) .

سحابة دخان : (أمام المهد الخالى) ليكن لقد أغرقت مهـــد الأمير .. لم أستطع أن أمسك نفسى .. لا يهم .. ستأتى له بالسعادة سأعيده بهـدوء الى مكانه وسيبدو كأنه يأخذ حمامة (يرفع الأمير ويبقى مذهولا وهو يحدق فى البساط) كان يجب أن أتنبأ بما حدث .. الأمير هو الآخر استفاد من هذا التغير .. آه يا عكروت ..

(اظلام .. دقات جونج .. اضاءة .. يسلط أولا الضوء على الشاشة حيث تحوم على شكل دوائر واسعة صورة عقاب ، ثم ينتقل الضوء ويضعف تدريجيا على شبح على ، ابن نجمة والأخضر ، أنه يتيم متشرد .. ضوء قاتم ، اضاءة ضعيفة جدا لم تصل الى درجة الظلام التام) .

علي : حل على طيف وهمت فى الصحراء فى أرض مطار لم تعبد ، وسلط على طيف العقاب (ضربات جونج) ..

هل يعرف من لم يمض الليل قط فى حــدقتى حيوان كاسر .. هل يعرف بأى ايقاع ينزف الدم الأسود من فؤاد عضه الذعر .. ؟ لقد عرفت ذلك أنا وذرفت دموع الرعب .. وطيف العقاب كان مصلتا على ، ولم يكف عن مطاردتى .. منذ ساعة الاغتصاب والهروب ومنــذ ذلك الحين وبدون هوادة ، أتربص وأغتال لأبعد الطائر عن الظلام والظلام عن الطائر .. ولقد ذرفت دموع الجنــون ..

(دقات جونج متصلة . على يستلقى فى ظل النخلة فترة ســـــكون ، ثم نرى عــــددا من البدو ، مشدوهين) .

الكورس : هذا الغريب ثانية .. أليس له مأوى غير هذا ونجده مرة أخرى ممددا فى ظل شجرة ولم يطلب شيئا ولم يقل شيئا . ولم يطلب شيئا ..

رئيس الكورس : يحوم عقاب فوق رأسه .. ربمـا كان محكوما عليــه ؟ ..

أود أن أقول له كلمة ، ولكنه ممـا لا يليق أن نوقظ رجلا دون أن نناديه باسمه .

علي : (يقفز على قدميه) ماذا جرى ؟ ..

رئيس الكورس : اهدأ يا رجل لم هذه الحركة الدفاعية أمام الشعب الذى ليس له ما يؤاخذك عليه ؟ .. قل لنا فقط

من أين جئت ؟ .. دعنا نقدم لك الضيافة .. التقاليـد تحتم ذلك فترة سكون ، على استرد مكانه تحت النخلة دون أن يجيب ..

الكورس : (فى غضب) أهو احتقار أم خجل ، أهو خجل أم احتقار ؟ ..

رئيس الكورس : انه لن يتكلم .. انه يحاذر ..

الكورس : انه بدون شك متمرد . صديق للشعب يضطر أن يعيش بدون أصدقاء ..

رئيس الكورس : أو لاجىء فاقت تجاربه سنه ، وجردته الحرب من انسانيته ..

الكورس : لابد من سبب لكى يعيش المرء هكذا فى الصحراء.

رئيس الكورس : أبدا انظروا اليه انه ينام دون نوم .. انه يسبح فى الفضاء .. جفونه تفتح وتغمض كما لو كان على حافة الواقع ..

الكورس : عيونه حمراء ، عيون طائر جارح .

على : (يتمالك نفسه) لقد خمنتم انى من قبيلة النسر. لكن النسر اختفى .. وحل مكانه عقاب .

رئيس الكورس : منـذ فتـرة كان يتظـاهر بالموت والآن يتكلم بالألغـاز ..

الكورس : أفرغ ما فى جعبتك ، أننا نسمع لك ..

على : الا تصدقوننى ؟ ..

رئيس الكورس : أننا لا نريد الا أن نصدقك ..

على : (بحزم) الأسـلام تنبؤا لنا انه حينما تحـل

السـاعات الأخيرة للقبيلة ، فان على النسر النبيل القوى أن يتخلى عن مكانه لطائر الموت والهزيمة لكنه أمر قليل الأهمية .. طوطمنا قائم انه طائر صعب المراس ..

رئيس الكورس : (يتيه كالطاووس) فى كل المدن الكبرى يمكن أن نرى العقبان فى الأقفاص مع قبائلها .

على : نعم ، الكبار العجزة ، منها أو أبناؤها التى ولدت فى القفص .. أقلية بسيطة . منذ زمن قريب ، أهدتنى أمى عقابا صغيرا تم صيده حيا ، وكانوا قد ربطوه بخيط يوضع فى جرة بعـد أن شدوا الى ساقه قطعة طويلة من الخشب كان لديه اذن مجال فسيح الى حد ما .. وبينما كنت أحاول ربطه فى شجرة أحدث ضوضاء وانتفض لدرجة انه كاد يموت مخنوقا لو لم أترك له الحبل .. ثم كان لابد على أن أطلق سراحه تماما ، لأنه امتنع عن الطعام والشراب واستمر غضبه طول النهار.. كان يتوقف لحظة ، وقد خارت قواه ، وامتلأ حقدا ، وحيرة ، وكأنه فى حلم بغيض ، وتوا كان يهب مرة أخرى ويعود الى ثورته المجيـدة .. كانت والدتى تقول سيموت لن يمس الزاد .. وبالطبع أطلقت سراح الطائر ورأيته يختفى فى سماء الأصيل .. وليس ذلك دون أسف منى .. كنت أود أنا أيضا أن أكون حرا أيضا وكم كانت حيرتى فى اليوم التالى والأيام التالية عندما رأيته ثانية ، يحوم فى المنطقة .. وجوده العنيد كان

يبدو كأنه يدعونى الى الرحيل .. هل كان ينتظر قرارى ؟ كان ذلك كأنه لعب .. وكنت اتسلى بمتابعته الى أبعد ما يمكنه ولاحظت يوما .. أنى هجرت والدتى . على العموم كانت تعيش فى الهواء الطلق منغمسة فى السحر .. وقد اعتقدتم انى قد مت وفى عالمها الملىء بالأشباح كنت واحدا من تلك الأشباح العائدة . اذن لقد هجرت وادى المرأة المتوحشة ، وسلكت الاتجاه الذى أشار على به صاحب السمو العقاب .. انه كان الاتجاه الى الغرب ، دائما الى الغرب ولما وصلت الى الحدود، أردت أن أعرف ما هو البلد الذى كنت سأدخله لأول مرة قيل لى : « انها امبراطورية المغرب » وكانت لحيتى لم تكتمل نموا فتركونى أمر وكان الموظفون والجنود يقولون : « ضحية أخرى من ضحايا الحرب » .

رئيس الكورس : (بصوت منخفض) لابد أنه مصاب بضربة شمس ..

(الكورس يتهامس على حدة ويهز أفراده رءوسهم ثم يشيرون الى احدى الشجرتين حيث يتصاعد منها دخان كثيف ثم يدور نظرهم نحو على) .

رئيس الكورس : أترى هذه الشجرة .. ؟ وترى الدخان خلف الشجرة ؟ ..

على : نعم أرى ..
هناك شخص مدخن للحشيش وفيلسوف

رئيس الكورس : شعبى .. انه يبحث عنك أنه ينتظرك ..

الكورس : (على حدة) الطيور على أشكالها تقع ..

(اظلام .. فترة سكون ينتقل الضوء .. يدخن سحابة دخان غليونه فى صمت) .

على يواجه سحابة من المؤكد أنها ليست محض صدفة ، أن يدفعك العقاب الى اجتياز الحدود وأن يحمل الشعب على أن يقودك الى .. وبقى على أن اكشف لك عما دفعه الى مثل هذا العمل، وأن أكشف لك عما بقى عليك عمله .. أنت يا مندوب العقاب .. سأقول لك قبل كل شيء ان هذا البلد يحكمه سلطان مقدر لابنه أن يتولى الحكم بعد قليل .

(اظلام .. دقة جونج .. اضاءة) .

سحابة دخان : (ممسكا خفيه) لقد أهدانى السلطان هذا الخف المطرز بالذهب وأنه يقول ان فيلسوفا يمثل شهرتى لا ينبغى أن يعرض أصابع قدميه للحصى . يا له من سلطان عظيم .. ألست أتعذب ضعفين بهذا النعل الملكى .. ؟ وليس ذلك لأنى لا يمكننى أن ألبسها فحسب خشية من تدنيسها فحسب ولكن لأنى يجب أن أحملها بين ذراعى ، بصورة خفية ، وكأنها ولد غير شرعي .. هذا يذكرنى بشيء .. اننى تعلمت السرقة فى الجامع كنت قد تركت حذائى عند المدخل مثل بقية المصلين .. وعند انتهاء الصلاة عبثا فتشت عنه تحت الحصر أى .. آه ..

(طوب يتلقاه سحابة دخان .. دقات جونج .. على يظهر على المسرح والكورس يتبعه وهو متوار) .

على : حضرت من أجل الدرس .

سحابة دخان : سنبدأ بالأفعال الشاذة ..

(فترة سكون ويبدأ سحابة دخان فى الشرح وعلى يخرج لوحه الاردوازى) .

رئيس الكورس : (مقتربا وعلى رأسه صينية) انها قرون غزال أرسلها المفتى .

سحابة دخان : يا له من مفت عزيز .. شكرا .. قل لصاحب القرون انه له أن يفخر بغزالته .

رئيس الكورس : يضع الصينية وينصرف على دقة جونج .

رئيس الكورس : (يعود) السلطان يطلبك .. انه أمر عاجل ..

سحابة دخان : من المؤكد انى أصبحت لا غنى عنى لهذه المملكة .. (موجها كلامه الى على) انتبه الى هذه الصينية . انها تحتوى على حلوى مسمومة لأحد المشتركين فى المؤامرة على الدولة .. لا تلمسها ..

على : كن مطمئنا ..

(ينصرف سحابة دخان .. على يكشف الصينية ويلاحظه رئيس الكورس الذى يبدو انه فى غير عجلة للانصراف . دقة جونج) .

على : (وهو يأكل) ما أغرب الحياة .. ما الذ الموت بالسم ..

رئيس الكورس : أنا أيضا ، سئمت الحياة .. أعطنى قليـلا من هذا السم .

على : (يبتلع آخر قطعة من الحلوى) ليس كل الناس من تلاميذ سقراط .

(فترة سـكون ينسحب رئيس الكورس متدلى الأذن) ..

على : يا لها من سعادة .. لابد أننى مبحر الى الجنـة ومع ذلك لابد أن أبكى (يشرع فى البكاء وهو يوسخ لوحته) .

سحابة دخان : (يدخل يتأمل الصينية الخالية) .
ابن الحـرام ..

على : سيدى .. لقد وسخت لوحتى ، ونسيت كل الذى أمليته على . وبما أنى أعرف سخريتك القاسية أردت أن اموت فأكلت هـذه الحلوى المسمومة رغم تحذيرك .

سحابة دخان : ابن الحرام .. انه من هـؤلاء التـلاميذ الذين لا ينتظرون نهاية الدرس ..

(اظلام .. اضاءة .. دقات جونج متصلة .. قبة من الكريستال ترمز لقصر الأمير أضيفت الى الديكور ، بجانب الشجرتين اللتين تمثلان الغابة حيث نرى على المتشرد يتمـدد وينام ثم يسلط الضوء على الكورس المنتشر حول القبة ومن خلالها نرى شبح الأمير متربعا على أريكته) .

رئيس الكورس : أيها الأمير انك لم تتخط أبدا حواجز أحلامك .. فخشية من أن يفقدك كما فقد ابنه الآخر لم يرد

السلطان يوما لك أن تخرج كما لو كان على العالم بأسره أن يأتى الى هنا ويسجد .. وقد تحول الى مظهر يشبه لوحة من زجاج فى معبد .

الكورس : أيها الأمير انك لم تتخط أبدا حواجز أحلامك ..

رئيس الكورس : أنت تذبل يا أمير وتختنق فى الكريستال .. الأرض والغابة ها هى كل الأشياء التى يتمناها كل أمير سيىء .. ولكن انظروا الى هذا الآخر المتشرد ، هنا تحت هذه الشجرة .. لقد وقع من طوله مثل البوصة .. وهو الا يحلم ؟ ألم يظن نفسه على عكس ذلك فى قصر الأمير وبعيدا عن كل خطـــر ؟ من منهما السعيد ، وأيهما الشقى ، حتى الحلم سلعة للتبادل .

الكورس : أيهما السعيد وأيهما الشقى .. ؟ حتى الحلم صفقة خاسرة .

(صمت .. الكورس يختفى .. فترة سكون .. دقات جونج .. على فى نوم ، يصـــطدم بحاجز الكريستال مثيرا بهـــذا انتباه الأمير ويبدأ حوار غير واقعى بين على والأمير) .

الأمير : (منحنيا على الحاجز) من يقرع الباب ؟ ..

على : انى اسمع شخصا خلف هذا الكريستال ..

الأمير : (يطرق على الحاجز) من يتكلم .. ؟ أجب ..

على : وأنت ، من أنت .. ؟ أجب .. هــل يمكن أن تخرج ؟ دقيقة واحدة ..

(على يأخـــذ طوبة ويحطم تماما جـــزءا كبيرا من القبة .. اظلام تام .. دقات جونج متصلة) .

رئيس الكورس : (فى الظلام) أخيرا قد حطموا حاجز الأحلام ..

الكورس : أخيرا قد أصبحوا احرارا ..

رئيس الكورس : انهم يغوصون فى الغابة ..

الكورس : بناقص امير ..

رئيس الكورس : لقد أدى المتشرد رسالته ..

الكورس : احداث كبيرة على وشك الحدوث ولن يلبث الشعب أن يسير الى العاصمة القبة الزجاجية اختفت . السلطان حزين وهرم مستلق على عرشه .. ثلاثة شبان يقتربون من بينهم على ..

احد الشباب : نحن أصدقاء ..

الشاب الثانى : أصدقاء الأمير ..

السلطان : (يعتدل فى جلسته) ابنى .. أين هو ؟ ..

على : ليس بعيدا عن هنا ..

(ممرضان من جيش التحرير يدخلان وهما يحملان نقالة . ويرى افراد من جيش التحرير يحرسون كل المنافذ) ..

السلطان : (مبهوتا) غير صحيح انه ليس ابنى .. أخرجوا من هنا ..

على : أنا متأسف . نحن متأسفون أنت الذى أردت الحرب .. فاختطفنا الأمير لكى نحميه من دسائسهم ولكى نضطرك أن تتفاوض مع جيش التحرير ، الذى كنت مصمما على سحقه فى حين انه ساعد على تدعيم عرشك ..
لقد مات الأمير وأنت السبب ..

السلطان : أنا السبب .. أنا السبب ..

على : نعم أنت السبب ، صحيح أن للسماء يداً فى ذلك. لقد هاجمنا فرسانك مثل الجراد حينما كان رجالنا يعدون على الأصابع بعد أن هزمنا فى أول هجوم كنا ننتظر الموت حينما ظهر لنا العقاب .. وفى الهجوم الثانى رأيناه وقد جثم على صدر الأمير وضم جناحيه كأنما يريد أن ينام هو أيضا ..

(اظلام تام .. دقات جونج .. حشرجة الامير .. العقاب يحوم على الشاشة) .

الكورس : (فى الظلام) الأمير يحلم .. حلمه الأخير . أيها العقاب ابتعد ..

رئيس الكورس : أيها العقاب ابتعد .. انه يحلم حلمه الأخير ..

* * *

الجثة المطوقة

ترجمة حمادة ابراهيم

مراجعة بسيم محرم

المنظـــر

(حى القصبة ، خلف الاطلال الرومانية . فى طرف الشارع بائع يجلس القرفصاء أمام عربته الفارغة . زقاق يفضى الى الشارع فى زاوية قائمة . كومة من الجثث تطفى على شفة الجدار . أذرع ورءوس تهتز فى يأس . بعض الجرحى يظهرون ويموتون فى الشارع . فى زاوية التقاء الزقاق بالشارع ضوء مسلط على الجثث التى تصـدر فى بادىء الأمر أنينـا شاكيا يتجسم شيئا فشيئا ليصبح صوت انسان ، صوت « الأخضر » الجريح) .

الأخضر : هنا شارع الواندال . انه أحد شوارع مدينـــة الجزائر ، أو قسنطين أو سيتيف ، أو جلمة ، أو تونس أو الدار البيضاء . آه ! ان المســافة تعوزنى لكى أعرض فى كل أبعاده شارع المتسولين والعرجى ، لكى أســـمع نداءات الشخصيات السائرات فى نومها ، وأشيع نعوش الأطفــال ، وأتلقى فى موسيقى المنازل المغلقة جلبة المشاغبين المقتضبة . هنا ولدت ، هنا لا زلت أحبــو لكى أتعلم الوقوف بنفس الجرح السرى الذى فات الأوان لاعادة رتقه ، وأعود الى النبع الدامى ، الى أمنا الباقية أبدا ، المادة التى لا تنفد أبدا ، المولدة للدماء والطاقة تارة ، وتارة أخرى مختلطة بالاتقاد الشمسى الذى يحملنى الى المدينة المضيئة فى قلب الليل النضير ، رجلا قد اقتــل لسبب غامض فى ظاهره طالما أن موتى لم يؤت ثمرة ،

بحبة قمح يابسة سقطت تحت المنجل لكى تتموج
عاليا عندما يأتى موعد دراسها القادم وهى تضم
الجسم المسحوق الى ضمير القوة التى تسحقها،
فى انتصار عام ، تعلم الضحية فيه جلادها كيف
يستعمل السلاح ، ولا يعلم الجلاد أنه هو الذى
يكابد ، ولا تعلم الضحية أن المادة تقبع متحصنة
فى الدماء التى تجف والشمس التى تشرب ..
هنا شارع الوندال ، شارع الأشباح والمجاهدين
والصبيان المختنين والعرائس حديثات الزواج ،
هنا شارعنا . لأول مرة أشعر به ينبض كالشريان
الوحيد المتدفق والذى أستطيع فيه ان ألفظ
أنفاسى الأخيرة دون أن أفقده . اننى لم أعد
جسدا وانما أنا شارع . لابد لى الآن من مدفع
لصرعى . واذا صرعنى المدفع فسأظل ماثلا هنا
أيضا وميض نجم يمجد الأطلال . وأى صاروخ
بعد ذلك لن ينال مسكنى الا اذا تخلى طفل ناضج
قبل الأوان عن الجاذبية الأرضية ليتبخر معى فى
عطر نجم ، فى موكب ودى لا يكون الموت فيه
سوى لعبة .. هنا شارع نجمة ، نجمتى ،
الشريان الوحيد الذى أريد أن أقضى فيه نحبى .
انه شارع دائم الغروب تفقد فيه المنازل وضاءتها
مثل الدماء بمثل عنف الذرة التى توشك على
الانفجار .

(سكون ، ثم صوت الأخضر يعود من جديد .)

هنا ترقد فى الظلام الجثث التى لا يريد البوليس
أن يراها . ولكن الظلام شرع فى المسير تحت الضوء

الوحيد للنهار ، وكومة الجثث لا تزال على قيد الحياة وقد جالت بها موجة رائعة من الدماء ، كتنين أصابته الصاعقة يجمع قواه لحظة احتضاره وقد أصبح لا يدرى ما اذا كانت النيران ستتلكأ فوق جثته بأسرها أو فوق صدفة واحـدة من الصدف الحى الذى يضىء مغارته . هكذا يبقى الجمهور على قيد الحياة بعد أن فقد راسه فى عملية الابادة التى تحصنه وتخلصه . هنا ، فى نفس هذا المكان وأنا صريح فى زقاق مولدى ، يعود الى فمى طعم مذاق قديم ، ولكنه ليس مذاق المراة التى انجبتنى ولا العشيقة التى احتفـظ بعضتها . انهن سائر الأمهات وسائر الزوجات اللائى اشعر بعناقهن ، يرفع جسدى بعيداً عنى ، وبقى لى فقط صوتى ، صوت الرجل أمجد به كمال الجمع المذكر . أقول نحن وانزل فى الأرض لأبعث الحياة فى الجسد الذى أملكه الى الأبد . ولكننى فى انتظار البعث ، وحتى أصعد من القبر لألقى مرثاتى ، بعد أن قتل الأخضر ، يلزمنى أن أضيف الى المد المذكر الجزر الجمع ، حتى تدفعنى الجاذبية القمرية الى التحليق فوق قبرى على نطاق كاف .. هنا أحصى نفسى ولم أعد انتظر النهاية . لقد متنا . جملة غريبة . متنا مقتولين . وسرعان ما سيأتى البوليس لالتقاطنا . أما الآن فانه يوارينا لأنه لا يجرؤ على عبور الظلام الذى لا تستطيع فيه قوة أن تشتتنا . لقد متنا ، لقد أبدنا دون علم المدينة .. عجوز يتبعها أطفالها

كانت أول من رآنا . ولعلها جمعت بعض الرجال الأصحاء الذين انتشروا بيننا مسلحين بالفئوس والعصي ليدفنونا بالقوة .. لقد اقتربوا على أطراف أقدامهم رافعين أسلحتهم فوق رءوسهم وقد راح الأهالى يراقبونهم من داخل منازلهم المظلمة موزعين بين الحيرة والرعب لمنظر الأشباح المنحنية على الجثث المكدسة . مذبحة كبيرة كانت قد وقعت ، وطوال الليل كله ، وحتى ضوء الصباح الذى يوقظنى الآن ، ظل الأهالى محبوسين كما لو كانوا يتوقعون مذبحتهم ويتهيئون لها فى عزلتهم مع أنفسهم ، ثم كفت الأشباح أنفسها عن الذهاب والاياب . وجلت القطط الأخيرة عن المكان . والمارة الذين كانوا ينقصون شيئا فشيئا كانوا يجزعون لحشرجاتنا ويتوقفون لحظة فى مكان الاشتباك . ولم تأت أية داورية ليلية لتعكر تأملاتهم العابرة ، لقد شعروا باحساس جديد نحو المجاهدين الغامضين الذين ما زال موجهم يهدر عند أقدامهم . فى هذا الشارع الذى كانوا قد شاهدوه عفنا كئيبا ، حيث مجد مثل هذه المجزرة يأتى فجأة ليطيل الزقاق نحو جولات قادمة .

(نجمة ، متشحة ، تغادر حجرتها نحو الزقاق . تمزق وشاحها وخديها ، وثوبها وتنتحب .)

نجمة : انظروا الى الصدر الضرير .
بعيدا عن الحبيب المفطوم .
لن ينضج أبدا .

ذلك الثدى الذى سوده الفراق..
لن يستطيع بعد الآن أي فم أن ينال لبنى .
ان الأخضر ينام مع غيرى .
لقد حذرتمونى .
ولقد حلمت بالاعدام رميا بالرصاص .
ولكن كان من المفروض أن يعود عند الغروب .
وكان من المفروض أن أخفى عنه دموعى وخنجره
وهانذى محكوم على بليل الوحدة
أرملة لن يمسنى بشر قط .
زهرة عمياء تبحث عن حبيبها المختار الذى حمل بعيدا
وسـط قرابين قرية النمل التى تتـردد على تتويجها .
هكذا هجرنى الأخضر ، النملة الذكر ..
الذى عبر العطر المتغطرس لمخدعى .
ليسقط وسط هذه الكومة من الأجساد المجهولة .

حسن : منذ أن رحل الأخضر ، ونحن هنا ، بدون أخبار. لم تتحرك نجمة طوال النهار . والآن تنصرف صامتة تحت جنح الظلام . نعم ، هـذا هو شبحها الذى يبتعد على طول الجدار . اننى لم أسمعها وهى تخرج .

مصطفى : (وقد نشل فجأة من غفوته) نجمة ! لا يجب أن نتركها تذهب . نادها . لا تنس أن الأخضر تركها هنا ، انه حتى اذا كان لم يخطرنا بأنها ستظل تحت حمايتنا .. انظر اليها وهى تتخطى الموتى . لا الذهول ولا الخوف يثقل مشيتها . ها هى ذى تقف أمام الزقاق المشئوم . ان وشاحها يتطاير فى الليل . ان الناظر ليظنها قاربا

سكنت حركته بعد أن انقلب ليكشف لنا عن الأفق . الحق بها سريعا . ففى غمضة عين قد يغمى عليها . ان أصوب فخ ينصب للغزالة الشاردة لا يكون فى غالب الأحيان سوى وقفة لها تجعلها فى متناول البندقية .

(حسن خرج متلصصا للقاء شبح نجمة . بعد لحظة اظلام على المسرح ، تدخل نجمة ، شاردة ، وشاحها ممزق ، يتبعها حسن من بعيد تجلس فوق مقعد) .

طهار : (بضحكة مفتعلة) قهوتك لا تزال ساخنة .. ولكن أخبريني الى أين كنت ذاهبة ؟ الى أهلك؟.

مصطفى : دعها تشرب . انها بلا عائلة (مخاطبا نجمة) ما عليك الا أن تنتظرى ، فأنت تعرفين الأخضر خيرا منا .

طهار : (وهو يعيد الكرة) ان المرء لا يهجر عائلته من أجل مجنون كالأخضر .

حسن : (حانقا) اعلم جيدا أيتها الجيفة أنه لولا الصديق الغائب لما كنا فتحنا لك بابنا مطلقا . فليس هذا من أجل شعرك الأبيض .

طهار : الأخضر ! الأخضر ! .. انني لا أسمع الا هذا الاسم . أليس هو ابنى قبل كل شيء ؟ ..

حسن : ابن أمه : انني أحدد هذا لك . لماذا تذكر عقمك هنا ؟ انك لست سوى ثرثار يهذى ويخرف .

(سكون ، ثم ترفع نجمة الفنجان الى شفتيها وهى تتحدث الى نفسها بصوت خفيض كما لو كان كلامها نفسه لا يصل اليها) .

نجمة : انني لم أكن أسمع وقع أقدام الجنود . ولم يجد هيامى اليوم أيضا فى الأماكن المحظورة التى نزحف فيها غير قادرين على النهش ، بهائم سمرتها الى الأرض حزمة من العشب منيعة

يسيطر علينا وجودها كما لو كانت جزاء علينا الكفاح من اجله ، وعدا لابد منه فى سبيل الثأر الذى نعده ، دون أن ننبس بكلمة ، ودون قطعة سلاح ، ولكننا على الأقل واثقون أننا سننهزم وفى قلوبنا كبرياء من يشعرون بأنهـــم قوم لا يهزمون . وما دام الصديق الوحيد قد هلك، فسأنتظــره أكثر من أى وقت مضى . ساطأ التراب والدماء مثل بقرة تعدو نحــو المجزرة باحثة عن وجه شبه مفقود . كم من وجوه عند قدمى ، وكم من اشباح متناثرة فى اثرى ، ولا أثر للأخضر .

مصطفى : ان الأخضر يلزم الصمت غالبا عندما نناديه .

طهار : وأنا سأفقد خير ما فى من قوة وأنا اجرى كالمسكين باحثا عن الملعون : هــــذا الابن بالتبنى الذى تلوموننى على حبه ، أنا الأب الوحيد الذى لم يعرف هو سواه حتى اللحظة التى سلبتم فيها عقله بكل أفكاركم الجديدة التى لا أدرى من أين استقيتموها .. لقد استحوذ عليه رفاق يجهل أسماءهم فى بعض الأحيان ، وها هو الآن ضائع ليس فقط بالنسبة لزوج أمه ، وانما بالنسبة لأمه التى تركها صغيرا ، عنـــد خروجه من المدرسة فى ذلك اليـــوم الذى اتفقتم فيه على الاستهزاء بالبوليس بعرض رأياتكم التى لاتفهم. ومنذ ذلك الحين وأنتم لا تمارسون الا هــذا العمل . لم يعد البوليس كافيا . انهم الآن يرسلون اليكم جنودا . والنتيجة : هذه الجثث

للشبان فى الشارع . وهؤلاء أيضا من « الرفاق » الذين نبذتم من أجلهم كل شىء . الكتب المدرسية ، وأدوات العمل ، والمنازل والعائلات لتتجمعوا أيضا ودائما فى انتظار أن يرسلكم رجال الشرطة والجنود لتلحقوا بالجثث المجهولة التى لا تستطيعون حتى دفنها، فى حين أن أصدقاءكم ، وربما الأخضر أيضا ، يقبعون هنا تحت ابصاركم فى نفس الشارع الذى كانوا يأتون فيه لحضور اجتماعاتكم ..

مصطفى : لقد ولدنا فى هذا الشارع ، كلنا ، وليس البوليس هو الذى سيخرجنا منه . أما بالنسبة للجثث، فلقد رأى الشارع القديم جثثا غيرها . أنت نفسك أيها العجوز المسكين سيشهد الشارع مرور نعشك ، ونحن جميعا سنمر من هنا . ليس عدد الموتى هو الذى يثقل على شارعنا ، انه الموت المنعزل ، موت الجبناء والقلقين من أمثالك ، انتم معشر الآباء المتخلفين ، الذين تخونون أسلافكم . انكم تظنون أنكم تؤمنون أعماركم المتقدمة بارسالنا الى الورش والمدارس التى يطردنا منها دائما أولئك الذين أصبحت سيطرتهم عزيزة عليكم ، انكم تعجبون بالسطوة والترف وأسلحة المرتزقة التى انتصرت على أجدادنا المشتركين . لم يعد للكفاح معنى فى عيونكم .. وماذا يعنى هذا ، سوى أن نفوسكم، نفوس الخدم ، قد دفعتكم الى عار الهزيمة التي تتلذذون فى قبولها ، ودفعتكم الى تغذية أحلام العبودية على حساب أولادكم اقتداء بمستعمريكم هم أيضا يعتقدون أنهم يحبونكم بسذاجة

(الفاسق دائما ساذج) ما داموا يعيشون من نشاطكم ويشركونكم فى فحشائهم مع احساسهم بأنهم هم أيضا آباء معلمون .. ولكنكم ستكونون آخر المخدوعين . ان أولادكم ، على الرغم منكم قد كبروا فى الشارع . لم يكن لديهم وقت ليستعبدوا ، وسرعان ما رأوكم تنفقون مع أحلامكم السعيدة . لن نعمل بعد اليوم من أجل أيام الخدم العتيقة .

طهار : فى هذا البلد الشؤم ، الدماء تسيل كل عشرة أعوام . لقد رأيت كثيرين من الأغرار المتحمسين مثلكم يتعرضون دائما لنفس الهزيمة . ماذا فعلتم بأعلامكم ضد المدافع الرشاشة ؟

ان جميع المعارك تخمد بسرعة مثل نشيج الأطفال . ان منازلنا قد هدمتها المدافع . فالميليشيا والجيش يأتيان لمساندة البوليس وهم يضربونكم ويذلونكم ويجبرونكم على العمل ويطلقون النار على مظاهراتكم الملعونة . وكل هذا ينعكس على الأبرياء . أمن الممكن أن يعتمد عليكم أبناء كاتب المحكمة التسعة ، ذلك الكاتب الذى أحرق حيا بعد أن سكب عليه البنزين لأنه راق له أن يحتفظ بجرائدكم ومنشوراتكم .

حسن : يبدو أنك تتلذذ بتوجيه هذا اللوم الينا .

مصطفى : دع الغراب ينعق . ليس هو الذى يثير قلقى .. قل لى يا حسن ، هل تتذكر ذلك الشاب الذى عاقبته المحكمة العسكرية بتهمة « القاء نظرة مهينة على موظف أثناء تأدية وظيفته » .

حسن : انني أتذكر . لقد كان في زنزانتنا بعد الهروب . قال لنا : « لماذا نبقى في هذا البلد ، اذا كان الثأر مستحيلا ؟ » .

طهار : عندئذ غادر معظمكم البلد ، وسافرتم الى فرنسا ، وأكلتم على مائدة أعدائكم وتكلمتم لغتهم وارتديتم زيهم مع انهم أطلقوا عليكم النيران في الخفاء وأنتم ترتدونه ، أما أنا ، فقد كنت أشرب وألهو مع النساء ولكنني ظللت في بلدي ، ولذلك فلم أكن جنديا ولا عاملا في المصانع المشهورة هناك . انني أستطيع بدوري أن أتهمكم بالخيانة ، ان لم يمكن بالغدر . ها هما عامان قد مضيا منذ عاد الأخضر من باريس ، ولم يأت لزيارتنا مرة واحدة وأمه تقف كل يوم في النافذة على أمل أن تراه يمر ، لم أعد أشتهي الشراب والطعام .

حسن : الشراب على وجه الخصوص . ان رائحة النبيذ الآن تجعلك تنغمس في اشمئزاز غريب .

طهار : هذا يحدث لي منذ مارست الصلاة . فكرة أخذتها عن تاجر أمين . انك لا تستطيع أن تتصور معنى أن تبلغ المئذنة في ملابس ناصعة البياض وجسد طاهر .

(يدخل رسول من الحرب)

الرسول : السلام عليكم (يجلس ويقدم سجائر) .

طهار : ما الأخبار ؟ .

الرسول : (دون أن يلاحظ حركة الارتياب التي يبديها مصطفى) :

الهدوء مطلوب . انهم يريدون أن يعرفوا مدى قوتنا عن طريق القيام بهجمات جديدة .

حسن : سيقولون ان بعض الأوروبيين المسالمين قد هوجموا ..

الرسول : لقد اكتشفت اماكن لقائنا الرئيسية وأصبحت تحت المراقبة . لم يبق الا أن نختبىء ، ولكن علينا الا نعرض أنفسنا للقبض علينا . فاذا اختفى جميع المسئولين مثل الأخضر وكثيرين غيره فسيفقد الحزب عنصره الجوهرى .

حسن : (مشيرا الى نجمة الواهنة) : اننا لم نقرر بعد اعتبار الأخضر مختفيا .

الرسول : عليكم أنتم أن تعثروا عليه .

مصطفى : كيف نبحث عن الأخضر اذا كانت الأوامر تقضى بأن نظل مختبئين ؟ اننا لا نعرف ما اذا كان بين الضحايا . الا يخطر ببالكم أن البوليس قد ترك الجثث فى أماكنها بهدف واحد هو ايقاعها فى المصيدة ؟

الرسول : (تاركة المقعد) : ربما (يخرج) .

نجمة : (وهى تنهض فجأة) : سأعود لزيارتكم .

طهار : انها مجنونة .

حسن : صه !

طهار : لكل مصيره . لماذا تخرج ؟ لكل مصيره

مصطفى : دعها تفعل . يجب عليك أن ترافقها .

(نجمة تخرج ، يتبعها طهار آسفا) .

حسن : أتقول انها كانت على خلاف مع الأخضر ،

صبيحة يوم المظاهرة ، ظروف غريبة . انني على يقين من أنها تعتقد أنه مات دون فائدة ، لمجرد أنه لم يعد يريد أن يراها منذ قليل ، عند خروجي لأول مرة ، تساءلت عما اذا كانت لم تر الأخضر مضطجعا في الزقاق . الا تظن أنهـا تخدعنا خشية الافصاح عن آلامها ؟

مصطفى : لا شيء تود المرأة أن تنفرد به مثل حدادها .

حسن : وبأسها ، هل تقبل منها أن تعارض في خلطـه بيأسنا ؟

مصطفى : وعلى فرض أننا نجهل ما قد رأته بالتأكيد ، جليا كما رأيناه ، فهي تعتقد أنها تتجنبنا . .

حسن : ... وهي في نفس الوقت تكتم الحزن الذي لن تتحمله ، اذا ما تحدثنا بطريقة مكشوفة . ولكن كيف هجرها الأخضر ؟

مصطفى : لقد قضينا الوقت في اعداد المظاهرة ، وفي الفجر شرع الأخضر في اتيان أعمال عظيمة ، كان يريد اغلاق الباب ، وتسريح رجال المقاومة والتكفل بآداء المهمة كلها . وأخيرا لم يبق ســوانا نحن الثلاثة الأخضر ، ونجمة ، وأنا . كنا نجـاهد للتغلب على النوم كما لو كنا قد احسسنا بأن هذه المظاهرة لن تنتهي كغيرها من المظاهرات . كانت نجمة تقف على حدة ولكنها لم تكن تبدو غاضبة . كنت وحدي في بعض الأحيان أقترب منها وأحدثها . وكان الأخضر قد شرع في الكتابة . وأخيرا نهضت نجمة لفتح البـاب ، وانقضت الشمس فوق رءوسنا ، بسرعة النحل المتجمع ،

وكنا نرتعد تحت لسعاتها الطفيفة ، ونحن لم نزل مثقلين من تعب الليل . كنا ، نجمة وأنا ، قد اقتربنا من الباب لاستنشاق هواء الربيع ، وظللنا مأخوذين بالفجر وحرارته دون أن نجرؤ على قطع هذا السحر . واذا بصوت الأخضر يردنا الى الواقع حين قال : « لا شيء يدعو للحزن » كانت النافذة مفتوحة وكانت نجمة ماثلة فى نور الشارع وعبير الصباح ، فهمس لها الأخضر مرة أخرى « لا تغضبى » وابتعد وهو يوصينى بتنظيم النوبة والاطمئنان عليها . حينئذ فقط أدركت أنهما خارجان من مشاجرة من الطريقة التى كانت تنظر بها اليه وهو يرحل بعين قاسية وحزينة .

(عند خروجها تلمح نجمة الأخضر بين الجثث . لقد نهض بمشقة . ثيابه ووجهه ملطخة بالدماء . يترنح فى الشارع كالمجنون . نجمة تظل صامتة محدقة النظر دون أن تقوى على التقدم خطوة واحدة) .

الأخضر : اننى أجد نفسى مرة أخرى فى مدينتنا . انها تستعيد شكلها فى ناظرى . اننى ما زلت أحرك أعضائى المحطمة ، وشارع الواندال ينتهى أمام عينى كأنه تحت عاصفة ، قبل دقيقة معينة ينهار فيها الليل وسط الأحجار ، فى صدر الحشرات التى ينبشها الريح والجليد حتى الصباح . حينئذ قام حائط ضخم بين المدينة الكبيرة وبينى . اننى أخرج أخيرا من هذا الموت العنيد ومن هذه المدينة الميتة التى أنا مدفون فيها .

(طلقات نارية بعيدة ، غير حقيقية يرددها الصدى) .

فوق شـــجرة هائمـــة جاهـدت عائلتى الثرية ، الثرية بالدم وبالأصل ، القبيلة ذات الضريح الخالى التى عاشت قبلى فى عطر البن المحمص ، جيراننا لم يعطوا شيئا منـــه على الاطلاق ، « لزهرة » تلك الأم التى لا أجرؤ على رؤيتها مرة أخـرى دون أن أنقـذها من الرجل المتعاجب الذى تزوجها ، فى غياب أبى الحقيقى الذى قضى نحبه فى حادث سيارة ، كان يركبها مع عاهرة ، هذا الأب الذى كانت ميتته الفظيعة هاوية من المهاوى التى ابتلعت بقايا القبيلة ، ذلك الميت الذى لا يذكرنى بأى شىء الا بقسوة القدر ، ذلك الميت الذى يتركنى مروره العابر بعيداً ، بعيداً للغاية ، سمكة ميتة خلقت بطريقة غير ملموسة وراء احشاء الأم ، ولدت مرة ثانية عندما خرجت فى عملية الهضم الكئيبة لسمكة القرش التى عبر هيكلها المشرف على الفناء بعـد أن اجتاز فكيها الواهنين : وهكذا فان ميتتى تجتاز ميتة أخرى أبوية قبل الأوان ، ولم أعد أملك سوى زوج أب لتحويل أمى « زهرة » عن لحدى القريب ، ولم اعد أملك سوى الأصدقاء الذين ستذهب اليهم « نجمة » الحبيبة المبعدة .

وهأنذا صريع مرتين ولكننى وحـدى أنهض ، أشبه بالتمـاثيل التى تبعثها الزلازل ، أزعزع العوالم وأهزها فى نوبات غضب بارقة ضـــد الدناسة العمياء ، دناسة الزمن ، ودناسة الموت ، ودناسة النكبة التى لا شىء يخلص منها عقولنا

الباقية ، الا ربما اللحظة التى حانت لى أخيرا ، لحظة بلا ديمومة ولا عودة يختبر المرء فيها قوته مع حشود لا حصر لها عند مخـافر القــدر الأمامية . أوه ! يا لسمكة القرش التى فقـدت سرعتها قرب السابحين المبهورين ، كذلك تكون عبقرية الموتى متخلفة عن تاريخى ، الآن وقد جئت على شاكلة الحجارة أموت فى الشارع ، وقد راح الزمن يضرب الأرض بقدميه ، وقد أعارنى شكلا أخيرا دون أن يقوى على أن يتغير معى أو أن يرفع القنـاع عنى الآن وقد انبرى الزمن ينازع الموت ذكراى المبعدة عنهما ، لم يعد هناك توقيت يمكن أن يكون توقيتى ، ودمائى المراقة لن تعـــرف لها بعـــد اليوم مقياسا ، ولا رواجا .

(طلقات نارية) .

انا لم ننف بعد من أرضنا ، ولكننا فقط هزمنا فى الشارع ، حيث انا بمفردى ، وعلى الرغم من السفاحين ، أحبو لا ميتا ولا حيا مهملا بلا عناية بواسطة قرار حكم أصدره الربيع ، فى رائحة دغل محطم ، شأن القنفذ الكبير وقد تخلى عن المقاومة ، يتذوق فى وكره ألم الطلقات الضائعة ، وهو يبلل فى هوادة تربة احتضاره الذى ليس الى نواله من سبيل .

(طلقات نارية) .

وحيد وفى ظلى تطوف النداءات الخطيرة لمدينتنا .

التى هجرت ببسالة ، وقد غزاها كياننا كله ، المدينة الشابة أبدا ، والتى تحتفل بالعيد على مشارف الخرائب .

(طلقات نارية متتابعة تستمر ولتنتهى بسكون جديد يلقى فيه الأخضر بهذيانه ، وسينتصب بكل قامته ليلقى ، فى بطء ، وكلمة كلمة ، الفقرة الآتيه التى يستعيد فيها رشده) .

اننى أسمع ضوضاء الدماء تعيش ، وأعثر على صرخة أمى وقد جاءها المخاض . اننى أسمع القبيلة تعيش تحت ريح السموم التى بلغت عروقى ، وارتفع عند الغروب نحو أشـــجار الحور العتيقة التى يهتز قوامها ورقة ورقة وفق اكتساح نباتى لا يمكن التصدى له ، اكتساح يذكرنا فى الليل الذى يسير قـدما ، بفرسان نوميديين تفرقوا عند المغرب ليجددوا حملاتهم .

(طلقات متتابعة وعدو جياد ، عدو جياد وطلقات متتابعة . سكون يبعث من جديد) .

وأخيرا فلكى أقيم سياجا من هــذه الأكداس الرهيبة من الزمن حـــول القلب المدمر الذى يتلقاها ، فاننى أصبح ، لا عن تصنع ، وانما عن عنــاية ــ أصبح ذلك الرجل العنيف الذى لم يكف عن التعدى على الأشباح .

(الأخضر يتطلع حوله ، متخليا شيئا فشيئا عن هوسه ، ويستطرد بنوع من السخرية) .

أن ثقل الخزائن موجود فى الأيدى المتقلصة التى تحسبنى فى الجبانة ومدينتنا المنهارة لم تعــد سوى بهجة للحياة مع الجدران .

(الأخضر يترنح على شـــفا الجنون فى قهقهـــة صفراوية) .

نجمة : (وهى تعدو نحوه) الأخضر !

(لما كان الأخضر يوشـــك على الانهيار ، فان نجمة تسنده . انها تساعده فى الاتكاء على العربة . البائع ينام نوما عميقا . الأخضر يعود الى مناقشة نفسه فى هلوسته) .

الأخضر : الرجال المتروكون يلقون فوقى بأيديهم المكبلة فى سلاسل مهولة تأتى ، على ما أرى ، من أجساد تترصدها النتانة ..

نجمة : لا أريد أن أسمع ! .

الأخضر : اننا جميعا ، فى هذه المدينـــة التى لا يطيقها الأجانب ، لا نطرد أحدا على الاطلاق . اى فاتح بوسعه أن يطعننا مرة أخرى ويخصب بدوره قبرنا ، وهو يتعلم يتامانا لغته ، وهو مستقر فى أمان مع ذويه دون أن تزعجـــه احتجاجاتنا ، الاحتجاجات التى تصدر من العـــالم الآخر . فلا أحد يمكن أن يسمعنا . وليس هذا من عدم الصراخ .. اننا لم نكف عن أن ننادى بكل قلوبنا هذا المنفى الذى نعيشه مكانكم ، فوق قبرنا ، أرضنا السليبة . أمن الممكن أن تكون هـــذه خديعـــة ؟

نجمة : (تغلق فمه بيدها الممدودة) أنا لا أسمع ! أنا لا أسمع ! .

الأخضر : (وهو يجاهد ليعود وسط الجثث) : دعينى

كروح تقطع آخر روابط الأموات ، اخفى هذه العقول التى تمزق بعضها فى زهور تخالف أوانها فوق أرضها المحرمة ، أوه أيتها الزهرة المضطربة قرب الرحيق المتقيأ ، يا حزمة العقول المظلمة التى اجتازها فى جماعات كل هـذا النحـل من الرصاص الذى يستقر فى رءوسنا .

نجمة : لا أريد أن أسمع ! .

الأخضر : انصرفى ، فلنفترق دون اجهاد قلبينا القاسيين. ان الروح وحدها تكفى لعبور العالم ، مع أننـا نادرا ما نتحدث عند النفس الأخـير . اننى أصمت . انك على طرف لسانى ساخنة تماما ، وأنا أجدف فى سكون كيما ابلغك فى سحبة جزر. صدرك كشعب البحر يوقف حركتى . اننى أسبح بالكاد ، بأذرع مقيدة ، نحو نعاس الكهف. والآن آتى لأرد لك الروح . ان الطوفان لم يعد يجذبنى . اننى أفضل على النعاس هبة الكلام ، بشرط أن تسنديني . ولكن شواطىء جسدك ليست سوى مهاو ساحقة . اننى وأنا مصاب بجرح مميت ، أرسو يكفينى أن أرفع صوتى حتى تصيبنى الخيانة .

نجمة : لقد بحثت عنك فى أعماق الكهوف ، وعرفت فى مصادقة القتلة صيد القنفذ . لقد كنت دائما تفقدنى .

الأخضر : نعم ، لقد أمضيت أيامى فى خندق ، أرصـد أولئك الذين لا يسقطون فى فخـاخك . كانوا يسيرون فوق صدرى ، وكنت أنت تتسنمين ،

وكنت تموئين عند رؤية شواربهم . فاذا صدر عني رد فعل ، كان تمردك يجرفني الى مساقط جديدة يستغلها كل غريم فيفرض نفسه في قفص . وهكذا كان لابد لي أن أقاسمك رذائلك وأن أتخلى حتى عن العذاب .

نجمة : تكذب . ما هو هذا العذاب ؟

الأخضر : ان سوء التفاهم هذا يمنحهم كل أنواع الشجاعة . انا وحدى كنت أستطيع ان أبدد جهلهم . وكان المنافسون يهيجون ، وهم يبكون في بعض الأحيان فوق لحدى . ولم يكن بوسعي أن أنسل منهم . ولا أن أواسيهم ، أنا الذي كان لا يزال يحمل مخلبك . وفوق ذلك فان صوتي كان يثقل العبء ، بحيث ان أية لعنة كانت ترفع من قدرك .

نجمة : (حاسمة وشاردة) مجرد أزمة غيرة .

الأخضر : ولكنني لو كنت ابطلت السحر ، لكانوا قد رضوا بأن يروني أهجر مضجعك الفاتن ، ولأثاروني ضدك . عندئذ كانت تظهر لي قمة العذاب . ولكنني لم أشأ أن أبلغ مستوى ارتفاعك ، اذ أدركت أن الفراغ كان في النهاية .

نجمة : انك لم تشأ أبدا أن تتم غزوي . تذكر ذلك الصباح الذي هجرتني فيه تاركا وراءك سخريات بدلا من الوداع .

الأخضر : في ذلك الصباح كان الجنود في المعسكرات ، على أهبة الاستعداد للتدخل ، وكان المنظمون عندنا يجهلون ذلك . كنت أعرف فقط أن البوليس سيأتي آخر الأمر . وكنت أنتظر رجال

مكتب النظـام ، وكانت الفرق الأولى قد تمت محاصرتها ، والشعب لا يزال يأتى الى شارع الوندال . كانت لحظة الانتشـار فى الشارع الكبير . وفى الليلة السابقة كان رجال البوليس قد استقروا فى بعض المنـازل . كنا جميعـا متعبين . ومن احـدى الشرفات ، خرجت الطلقات جزافا ، كان الجمهور قد ضـاقت حلقاته . وكنا نتخذ من كل شيء قذائف ، ولكن لم تكن لدينا أية حماية . ووصل الجنود فأطلقوا النيران بعنف ، فاذا بى على الأرض مع مـذاق قديم فى فمى ، فاقـد السـمع ، فاقد الاحساس ، ولكن عينى لا تزالان منفرجتين . ثم شرع الجمهور فى الرقص ، ولم تخـرج من صدرى أية حشرجة ، أو على الأقل لم أسمع حشرجة صدرى كما لم أسمع حشرجة الجرحى الآخرين ، فلقد كان هنـاك رصاص فى جسدى وضوضاء فى المدينة ، كان يلوح لى بكل بساطة أن الجمهور قد شرع فى الرقص . لم يكن هناك ما يدعو الى الحزن . ومن جهة أخرى فقد كنت أحمل بعض السجائر . ان المستنقع الذى كنت أرقد فيه لم أكن أراه . كان الجو جميلا . لم تكن المظاهرة قد انتهت . كان يبدو لى أن الجنود من عالم آخر . أما رجال البوليس فقد نسيتهم . ولـكن الجمهور كان ينقص . عنـدئذ شـعرت بضعفى .

لحظة . ظلمات شـبحا الأخضر ونجمـة . طلقات نارية . أوامر ، أنات . عويل من الجمهور

الذى اسكرته مذبحته نفسها . جلبة . عراك . ضوء . المسرح خال . البائع ، بمفرده يجلس القرفصاء أمام شجرة البرتقال . انه الليل . نجمة ومصطفى وحسن يظهرون ، وهم يختفون من منزل الى منزل) .

مصطفى : لا داعى للذهاب أبعد من ذلك . لن نعثر عليه .

حسن : لقد اختفى أثناء العراك الثانى .

مصطفى : (بلهجة قاسية) كان يجب الاعتناء به ، ثم حبسه فى المسكن . ولكن لا نتركه هنا .

نجمة : أنا لم أتركه ! فعندما سمعت طلقات النيران والصراخ ، أخذته من ذراعه . كان متكئا هنا (نجمة تشير الى شجرة البرتقال) توسلت اليه أن يتبعنى . فلم يجب . سمعنا بالقرب منا جماعة من الرجال المسلحين . فتوسلت اليه مرة أخرى ، وصرخت فيه بأن يذهب الى أى مكان اذا كان لا يستطيع أن يتبعنى . لكنه كان يهذى دائما ، وهو يحاول أن يقف على قدميه . وفى هذه اللحظة ابتلعتنى الجماهير التى كانت تفر من الرصاص . وسقطت . ثم نهضت ، وسقطت مرة أخرى . كان الرجال يتطاحنون من حولى ، وهم يقلبوننى فى طريقهم ، كما لو كانت رغبتهم الأخيرة هى أن يسحق بعضهم بعضا فوق جسد امرأة مجهولة .

مصطفى : (بلهجة أشد قسوة) اننا نعرف هذا جيدا : حتى تحت الرصاص ، فان المرأة تجد نفسها فى بؤرة النزاع . بهذه الطريقة فقدت الأخضر . وذات

يوم ستفقدين أصدقاءه أيضا اذا لم يكن هذا قد حدث فعلا .

حسن : (ليحول غضب مصطفى) ان هـذا البائع يوجد هناك دائما . فلا شك أنه قد رأى الأخضر .

(يقتربون من البائع . حسن يهزه دون مراعاة) .

البائع : (مذعورا) اللعنة على الكافر الذى أيقظنى . أوه ! عفوا . لقد ظننتكم جنودا .

حسن : ألم تر الأخضر ؟ .

البائع : يوجد فى بلدنا رجال يدعون بهذا الاسم .

حسن : انه صديق . الناس جمعا يعرفونه .

مصطفى : (حانقا ، وهو يقترب أكثر) ليس هذا وقت المزاح ، أخبرنا اذا كنت رأيته .

البائع : كلا . لم أره .

مصطفى : حقا . أولا تعرف رجالنا ؟ طول الوقت فى الشارع ولا تعرفهم ؟ .

البائع : (مرتاعا) أنا لا أعرف سوى عملى وأولادى .

مصطفى : ماذا تعمل فى هذا الشارع ؟ الا تحادث أحدا ؟ .

البائع : آه ! يا اخوانى ، أنا لا أعمل بالسياسة . فما عسى يفيد هذا ؟ .

مصطفى : هناك من يفيدهم هذا . البوليس أيضا ، هذا يفيده .

البائع : اخوانى ، ان عندى سبعة من الأبناء . اننى

أكسب قوتى بقدر ما أستطيع . أمن المحظور أن يكسب المرء قوته ؟ .

مصطفى : تعتمـد على رجال البوليس ؟ يتركونك تكسب قوتك ، ماذا تعطيهم فى مقابل ذلك ؟ .

حسن : سأخبرك بما تعطى لهم ، أتحب أن أخبرك به ؟ .

البائع : (وقد جن جنونه) اخوانى ، ان عندى سبعة من الأبناء . لو لم يكن الأطفال جياعا لنموا بسرعة ، ولتحررت البلاد . .

مصطفى : اذا كنا جميعا مرشدين ، فقد يكون هذا وسيلة للتخلص من الفاقة ؟ .

نجمة : فلنتركه . انه ليس سوى كهل .

مصطفى : اذن وأنت نائم ، تقوم بهذه المهنة ، مهنة الكلاب ،

(مصطفى يجلس القرفصاء بالقرب من البائع ويضيق عليه اكثر) .

تفكر طبعا فى الحاكم ؟ لديك أحلام مليئة بالأنين مثل الكلاب ؟ .

البائع : (منبطحا) ســامحونى ، لقد ظننتكم من الأعداء كل انسان يخطىء . كان صاحبكم مجروحا .

حسن : (وهو يقترب من الجهة الأخرى) الى أى مكان لجـأ ؟ .

البائع : (مشيرا الى نجمة) هذه المرأة رأته . لقد تحدثا سويا بالقرب من عربتى دون أن يلاحظا أنى قريب منهما . ثم كانت المعركة الثانية . لم أر شيئا ، أقسم لكم انى لم أتوان فى حزم أمتعتى .

(ظلام . طلقات متصلة من الجونج . ضوء .

(الكومندان يثرثر مع ضابط آخر ، وهو يشير الى خريطة افريقيا ، المعروضة على الشاشة) .

القومندان : ... أنظر الى تاريخ « نوميديا » . انها اليوم شمال افريقيا ، مع فارق بسيط وهو أننا حللنا محل الرومان في مراكز القيادة قديما ، لم يكن من السهل هزيمة فرسان « نوميديا » . أما اليوم ، فلدينا الطيران والبلاد مقسمة الى ثلاثة أجزاء . ولكنها دائما بلد واحد . لن ننجح في ابتلاع سكانها ، حتى بعد ان نقلنا عددا من المستوطنين لم يصل اليه عدد في أي امبراطورية افريقية . في تونس والمغرب وهنا أيضا ، نفس الرجال ينقلبون ضدنا . انهم يعاودون الهجوم متدفقين من القرون الغابرة ، وهم يقتلون في المعارك ليظهروا من جديد ، نوميديين يلوذون بالفرار ولكنهم يوحدون صفوفهم للقيام بهجمات أخرى ...

(الضوء ينتقل جهة الأخضر المغطى بالتراب والكدمات ، في مواجهة مارجريت) .

مارجريت : هل هوجمت ؟ .

الأخضر : من العسير أن نقول ذلك .

مارجريت : لقد « فرملت » بالضبط أمام جسدك . كنت وحدى الى عجلة القيادة . لك حظ ... لقد « فرملت » في الوقت المناسب تماما . لقد تحركت أنت وسمعت أنا بعض الكلمات الفرنسية ...

الأخضر : لابد أن الأمر اختلط عليك . فقد كان هناك جرحى آخرون .

مارجريت : كلا ، أنا متأكدة . كلماتك كانت غير مفهومة . لكنها كانت بالفرنسية .

الأخضر : (خجلا) هذه نتيجة ذهاب المرء الى المدرسة ...

مارجريت : ماذا تقول ؟ .

الأخضر : (مستدركا) لا شيء .

مارجريت : لقد تجشمت العناء في نقلك . لحسن الحظ أني ممرضة . انني أحب أن أعالج الناس لكنها ليست مهنتي . والدي لا يريد لي أن أعمل . يقول ان مرتبه يكفي . في باريس كنت أقوم أيضا ببعض الخدمات الطبية . أما هنا فالوضع بالغ الدناءة ... المهم أنني أوقفت النزيف .

الأخضر : انني أشعر بتحسن .

مارجريت : اذا سمحت ، فاني سأخطر والدي وسيطلب احضار عربة اسعاف .

الأخضر : تعتقدين أن والدك ...

مارجريت : انه ضابط .

(الأخضر يذعر . مارجريت تحدق فيه باهتمام قبل أن تستطرد بصوت خفيض) .

مارجريت : أنت أجنبي ؟ كلا . أنت عربي . انني أرى ذلك الآن ، وأنا أنظر اليك من قريب . يبدو أن دمك عربي .

الأخضر : نعم ، دمي عربي .

مارجريت : (وهي تفكر) غريب ... الآخرون ، لا استطيع

أن أراهم . انهم قذرون : يظنهم الناظر قملا .
أنت لست مثلهم . تمدد فوق سريرى .

الأخضر : سأنام عند رفاقى ..

مارجريت : سأتركك . تنام فوق سريرى .

(مارجريت تخرج . تدخل نجمة) .

نجمة : سامحنى . أصدقاؤك يبحثون عنك . لقد رآك البعض تنزل هنا .

الأخضر : انت أيضا ، تراقبينني ؟ هل أنا عبد أو طفل ؟ .

نجمة : من بعيد جدا تبعتك . ليست أنا التى ستقوم على حراستك . لا تزال ترقد غارقا فى نظرتك أنت ، لو صح أن نسمى العنكبوت الذى يجرى فوق جبينك نظرة . انى أقتفى أثرك بينما أنت تعمينى وتضربنى . ان روحك القاسية تثقلنى ، وأنا أرتدى الحداد ، ولكنك لم تمت الا من أجلى .

الأخضر : أبدا لا نفقده .
ذلك الحبيب الذى
تأتى لفحة جديدة
فتوريه التراب فى غير وقته .
محروثة بعيدا عن خطوط حقلى
أقدم الى نيرك الوحدة
وغيابى سيجعل هجرانك يزدهر .

نجمة : فى أحشاء ذاتى
ألقيت بذرتى بلا عودة

وها أنت ذا تتبدد

سحابة تفجرت كان ماؤها منيتى

الأخضر : وكجوال على ظهره

أقوم بالتسميد مختلطا بك

وأغمرك بفم مخيط

مفعما بسحابك المطر

وكجوال على ظهره

أقوم بالتسميد مختلطا بك

أيتها الرفيقـــة التى لا يمكن التنبؤ بهـا ، أيتها الأرض التى أرهقها قمحها اليابس الذى ألقى على الأرض عنوة .

نجمة : أنا التى رأتك والمنجل يقطعك

الأخضر : ولكننى سأخرج من صومعة الغلال

ولن تعرفى بعد ذلك .

أى هجمة قديمة تغطيك

وسينسى

عريك

الشتوى !

اننى أسحب روحى الى الموت الذى ينسى نفسه

فلتخلع ثياب عرسها

تلك الساحرة التى هى القدر

ولتهلك عذراء حول النيران !

ولتظهر دون جدوى

سقوطها الهادر
في أعماق المغارات العرسية !
الحب ، والموت والروح :
ندم طمرة الأسلاف
الأسلاف الذين يفضحون حياتهم
كوباء استعر في زمن القحط
في معسكر عشاق مغمورين لا يستطيعون أن يتعرفوا على أنفسهم دون أن يحرقوا آخر عبراتهم في صراع تشعر فيه روح الخصم انها وحيدة ! .

(يدخل حسن ومصطفى) ..

مصطفى : (مشيرا الى الأخضر) ها هو ذا حي ، بل وثرثار .

الأخضر : انتظر .

(تدخل « مارجريت » ، مذعورة أمام المجاهدين) .

نجمة : لا تخش شيئا . سننصرف نحن .

الأخضر : (متأثرا) ايه كلا ! لنبق سويا (مشيرا الى مارجريت) انها من باريس . ان المرء وهو في بيتها يشعر كأنه قد اجتاز البحر .

مارجريت : سأغلق الباب .

نجمة : (متألمة) لا تحملي نفسك كل هذا العناء .

مصطفى : (بصوت من أتى ذنبا) العناء قد وقع . ..

(خمسة كشافات تنتشر فوق خشبة المسرح . الكشاف الأول يظهر بجلاء وجه الأخضر المتورم الذى تحدق فيه مارجريت ، وهي مأخوذة ، في نور

الكشاف الثانى ، كاشفة عن هذا الحب الجديد الذى تفتح دون علم المصاب . الكشـــاف الثالث يبين الاغراء العاجز لنجمـــة التى تبدد نظرتها المريرة رقة الغريمة . الكشاف الرابع يتأرجح مع النظرة المزدوجة التى ينقلها مصطفى بين نجمة والأخضر ،الأخضر الذى بدأ يكره، ونجمة التى تدفعه الى اليأس الكامل . الكشاف الخامس ينطفىء أولا على حســن ، المنزوى قليلا ، منفردا ومتضامنا فى نفس الوقت . مصطفى ومارجريت ونجمـــة يدخلون بالتوالى فى الظلام . الكشاف الأخـــير ينطفىء على شفتى الأخضر فى اللحظة التى يبدأ فيها الكلام) .

الأخضر : (رافعا الكلفة) هل لديك شراب ؟ اعطنى أى شىء سيشربون معنا . سيتم ذلك بلا ضغينة .

(مارجريت تحضر شرابا . يشربون فى صحة الأخضر) .

حسن : جراحك ؟ .

الأخضر : كلها جديدة .

مارجريت : لقد نزف كثيرا .

نجمة : ستملئينه كالقربة .

مصطفى : (غيورا) لقد أصبح فاقد الاحساس ، أشبه بتلك الأشجار التى تمزقها مناقير اللقالق حتى العظام .

الأخضر : (وهو يميل فجأة ناحية مصطفى) نفس اللقلاقة (مشيرا الى نجمـــة) تضربك بمنقارها . ولكنى مرتاح . نحن اخوان . ان الغربان لا يمتهن بعضها البعض ... والآنأخبرنى ، أين رجالنا ؟

(مصطفى ، مغموما ، لا يجيب . صمت . حسن هو الذى يجيب .)

حسن : لم يعد سوانا فى المنطقة . لابد من اعادة تجميع الرجال . منزلنا واحد من المنازل النادرة التى لم تهاجم ، الجرائد تقول ان حالة الحصار لن تستمر . لكن الرجال المشتبه فيهم ، بين الثامنة عشرة والستين ، أبعدوا عن المدينة فى مواكب عسكرية ...

الأخضر : (مخاطبا مارجريت) فما رأى أبيك فى هذا ؟ .

مارجريت : (مفكرة) انه يقوم بالتنفيذ .

مصطفى : نعم ، ان المستوطنين هم الذين يقررون . لقد توصلوا فى باريس الى أن تكون السلطة مقسمة الى حد ما بين الميليشيا والجيش . والحاكم نفسه مشلول الحركة . من الممكن أن ننتظر أى شىء .

الأخضر : هل نستطيع أن نقدر خسائرنا ؟ .

مصطفى : أنا لا أرى سوى ثلاث فئات : الضحايا ، الأسرى ، الفارين . الأمر لا ينتهى أبدا . فى الجهة الأخرى من القبر ، تتكاثف الظلمة الحالكة . انهم يحيكون بعض المؤامرات ، مع أن فترة الانذار قد انتهت .

الأخضر : بأيديهم هم سيقضون على انتصارهم ، خوفا من العقاب .

مارجريت : لا تتعشم أن تنكر باريس الجيش .

مصطفى : نحن نعرف سلطان المستوطنين . ذات يوم

سيذهبون لارهابكم فى فرنسا . انهم من الآن يتحرشون بكم ، ويخادعونكم ، ويطغون عليكم . انهم مرتزقتكم الذين لا تقف قوتهم عند حد . سينقلون ضدكم ، فى قمة العجرفة الذليلة .

مارجريت : (مذعورة) اخفضوا أصواتكم ... من مكتبه ، يسمع كل شيء .

مصطفى : من ؟ .

مارجريت : أبى ! .

(مصطفى والأخضر يتبادلان النظر . عند صيحة مارجريت ، الباب يفتح . يطير حطاما تحت حذاء القومندان ، الذى يصرعه حسن فى الحال وهو قريب منه . تنقضى لمحة ، مارجريت تتردد ، ثم تتخذ مكانها بجراءة وسط المعمعة . تتخطى جسد أبيها لتقبض على الأخضر الذى يقاوم مذهولا) .

مارجريت : بسرعة ، لنحملهما كليهما . ان السيارة أمام الباب .

(مارجريت تحمل الأخضر ، الذى يكف عن المقاومة . يغادران خشبة المسرح يتبعهما مصطفى الذى يحمل جثة القومندان . حسن ونجمة يظلان وحدهما .)

حسن : (وهو لا يزال تحت تأثير فعلتــه) انه أبوها فعـــلا .

نجمة : لا يهمنى .

حسن : انت مخطئة اذ تكرهينها . انهـا ليست سوى اجنبيــة ، مجرد فتــاة مغتربة ، عاطلة ، كتبت عليهـا حيــاة الثكنات ، تخنقهـا روح طبقتها بالقرب من أب مجرد من الشفقة . ان وحدتها

ألقت بها بيننا كمن تمشى وهى نائمة . انها تنضم الى الشباب كما ينضم المرء الى العدو ، سائرة فوق دمائهـا ، دون أن تعرف أولئك الذين تختـار معسكرهم ، وقد نزعتها من عزلتها ضربة من ضربات القدر ...

نجمة : (عابسة) لا يهمنى .

حسن : الا تشعرين بالغيرة ؟ .

نجمة : هيا ، أنت حمار ، بمسدسك هذا ... ألم تلاحظ ؟ أمامى ، كان الأخضر ومصطفى يبغض كل منهما صاحبه . وأمام هذه الفرنسية التأمت صداقتهما من جديد .

حسن : هكذا تترك غيرة الحب مكانها لأخوة السلاح .

(ظلام . ضوء . دقات جونج . جو بارد حافل بالناس . نجمة تتكلم وسط المسرح) .

نجمة : حان الوقت لأتحدث عما وقع عندما كان الأخضر يخرج من مرحلة الطفولة ، كان يبدو له عندئذ أنه خلق ليعيش فى بلد أجنبى لن أذكر اسمه ... لم تقع له كل هذه الأحداث الا بعد أن انقضت سنوات عديدة على اختمار فكرة رحيله . كان أبوه يعيش فى مقهى ليل نهار . والأخضر يتذكر أنه اصطحبه الى هناك ، عندما حلت أوقات فاقة تركت الناس بلا عمل . كان العمال والفلاحون وصغار الموظفين وحتى المحامى ، لا يغادرون المقهى . كانوا يشربون قليلا أو كثيرا . وكانوا يلعبون الورق أو الدومينو . هكذا كانت تنقضى الأيام العصيبة ،

كان المحامى يقرأ الجرائد ، وهو يفرك عينيه ، وكان الآخرون يلقون برءوسهم الى الوراء للتأمل والتفكير . وكان والد الأخضر يريد أن يستخفى عن الأنظـار . كان يقول : « ان الجرائد مثل عبارات السحرة ، لا يستطيع الناس جميعا حل رموزها ... وذات يوم قام البوليس بعـدة هجمات مباغتـة فى الشارع ، وأسرع الجميع يلجئون الى المقاهى والحوانيت ، والحمامات ، بل وحتى الى المحطـة ... ودخل الأخضر المقهى ...

(نجمة تغادر المسرح . العمال والفلاحون وصغار الموظفين والمحامى فى وسط المسرح . فى اقصى المسرح يوجد مصطفى . الأخضر يتسلل نحوه .)

الأخضر : (الذى لمح زوج أمـه ، يدمدم متذمرا .) اليوم يوجد جمهور .

طهار : وبك يزداد واحدا .

الأخضر : أنا لا أبحث عنك ، يا أبى ، أنا لا أبحث الا عن الهدوء .

مصطفى : اجلس ، أيها الرفيق ، احترم أباك قليلا .

(فى هـذه اللحظـة ، المحامى متوقفا عن قراءة جريدته ، يطلق صرخة قصيرة) .

المحامى : انتهى الأمر ! لقـد صـدر الحكم على رئيس الحزب . عشرون عاما أعمالا شاقة .

الموظف : (غير مكترث) ها هو الأستاذ يبكى .

المحامى : ليس أنت الذى سيتحمل مشقة اخبارنا ...

الموظف : عفوا ، يا أستاذ ، ولكن طريقة سيئة فى اخبارنا بالأمور .

مصطفى : هل حكم عليه طبقا للقانون ؟ عفوا ، يا أستاذ ..
كيف أدانوا الرئيس ؟ .

المحامى : (بلهجة الذى يفهم الأمور) القانون ، والمستوطنون ... لقد أدين تماما .

الأخضر : وها هو ذا بلا دفاع ؟ .

المحامى : ليست هذه أول مرة . سيموت فى السجن .
لا أمل ، اذن ؟ .

مصطفى : يبدو لى ، يا أستاذ ، من كلامك أننا جميعا سندان ان عاجلا أو آجلا .

المحامى : آه يا بنى ، لقد فهمتنى ! ان القانون يهددنا على الدوام وهو يشعرنا بهذا التهديد عن طريق مثل هذه الأحكام . ومع ذلك فان القانون لا يصيب الجماهير بتاتا . فطالما نحن سويا ، سيتركنا نعيش خاضعين . أما اذا تراءى لسوء الحظ لأحد الساخطين أن ...

طهار : براڤو ، يا أستاذ ، علمنا ! .

الأخضر : هل تعنى أن رئيس الحزب كان الوحيد الذى تمرد ، وأنه يرتكب دائما نفس الخطأ دون أن يستطيع اقناعنا ؟ هل تعنى أننا لم نتبعه حتى النهاية ؟ .

المحامى : نعم ، يابنى ، أنت أيضا تفهم ، أنا أرى أنه من غير الحكمة أن يخرج المرء من شعب جائع ، جاهل مثل شعبنا ، لكى يسقط من تلقاء نفسه تحت وطأة القانون . انكم ترون جيدا أن هذا التعس قد خذل نهائيا . ان ادانته لا تؤدى

الا الى زيادة ارهابنا ولا عمل لنا الا أن نقاسى من الهجمات الفجائية دون أن يكون لنا شأن بهـــا ...

الأخضر : براڤو ، يا أستاذ ، لابد وأنك عرفت كثيرا من القضاة . انك تتحدث عنهم بحكمة .

القاضى : (فى تواضع) منذ عشرين عاما وأنا مقيد فى سجل القضاء ...

الأخضر : اننى أفــكر فى ذلك الرجــل الذى أدانوه منذ قليل . هو أيضا مسجل فى سلك القضاء لمدة عشرين عاما ، ولــكن فى الجانب الآخــر من المحكمة ... هل تفهم يا أستاذ ، هل تفهم ؟ .

المحامى : (تائها) نعم ، لقد عرفت كثيرا من القضاة .

الأخضر : هل عرفتهم رجلا لرجل ؟ .

المحامى : بالتأكيد ، فمنذ عشرين عاما واسمى مسجل ..

الأخضر : اذن فقانونهم ليس بعيد المنال ... يكفى أن يسجل المرء نفســه فى سلك القضاء .. انك تفكرينى بأن أفعل ذلك .

المحامى : (مغيظا) لقد فات الأوان ، أيها الشاب ، لكى تتم دراستك ...

الأخضر : اقتربوا ، اقتربوا جميعا ! الجميع يستطيعون هنا أن يسجلوا أسماءهم بسلك القضاء . ولكن ذلك سيكون فى الجانب الآخر من المحكمة لأن القانون سيغير معسكره . يا أستاذ ، ان الحكم عليك سيكون خفيفا ...

المحامى : الله فى عونكم يا أبنائى . سأذهب لأرى ما اذا

كانت الجريدة قد وصلت . (المحامى يخرج ؛ تشيعه الفرحة العامة) .

مصطفى : ان الأستاذ لا يحب حماستنا .

الموظف : انه رجل حر ، ولكن لديه بعض الهموم .

عامل : اننى أفضل رأسى ، رأس العبد .

الأخضر : (مخاطبا مصطفى) حان الوقت لكى نبدأ ...

مصطفى : (ساحبا مفكرة من جيبه) فتحت الجلسة .

(فلاحـــون وعمال يقتربون فى صمت . طهار يظل بمفرده عند البنك .)

الأخضر : (مخاطبا طهار) سنبدأ عندما تنصرف أنت .

طهار : (مخاطبـــا صاحب المقهى) معهم ، ستصبح ثريا .

(طهار يخرج ، تتبعه حفنة من صـــغار الموظفين . الاجتماع يبدأ بجلبة طفيفة . ثم يسمع جزء من البيان الذى يبدأ بصوت خفيض ، جاذبا الانتباه).

مصطفى : ... زنزانتهم ليست زنزانتنــا : انها لن تكفى لعزل مساجيننا . لابد من تنظيم الحجــرات المشتركة ، رغم وجود المحكوم عليهم بمقتضى القانون العام ، والا يقبض علينا مباغتة ، وانما يجب أن نتسلل الى السجون ، بخطة تحرير شامل ، تضم حتى لصوص القانون العام ، لأنه ليس لنا أن نحكم على الذين فى الطرف الآخر من سلاسلنا .

(الأضواء تنطفىء واحدا واحدا ، بينما المجاهدون ينهضون ويذهبون كل الى وجهته . الظلمة تقع على ظلى الأخضر ومصطفى المعروضين على الشاشة .

قضبان السجن الحربى فى لقطة كبيرة . بالداخل ، الأخضر ومصطفى وحسن مجتمعون فى نفس الزنزانة . المشاهدون يتعرفون على وجوه المسجونين الثلاثة ولن يروهم طوال المشهد ، لكنهم سيسمعون أصواتهم الواضحة التى ينقلها مكبر للصوت . أمام القضبان ، فى لقطة كبيرة ، وعلى جانبى الشارع الذى يفضى الى كوة الزنزانة ، يقف كورس الجمهور فى صفين يطفى كل منهما على الآخر . شخصيات الكورس ليست رمزية فيما عدا مارجريت ، الباريسية ، التى تتميز عن المجموعة بأناقتها ، وخطواتها ذهابا وايابا التى تتسم بالكآبة وسط الشارع ، لأنها تنتظر وحدها أخبارا عن الأخضر ، بينما الجمهور منصرف الى مشاغله ، يتنزه أو ينعس ، كل هذا فى نوع من التركيز الفكرى اللازم لسماع الثلاثى المسجون) .

حسن : لن يطلقوا عليك النار . مجرد مسرحية لارغامك على الكلام .

الأخضر : أخبرونى بأن هذا سيكون غدا ، فى الساعة الواحدة . كان يبدو أنهم ينتظرون اجابتى .

مصطفى : هل كانت قاسية معرفة هذا الخبر ؟ أكثر قسوة من التعذيب ؟ .

الأخضر : بمجرد أن سمع الحكم .

لم يعد الزمان سوى ذكرى اعدام مقهل .
من تلقاء نفسها توقفت الأسلحة .
فى خرير شلال تحت الأرض .
لا تطفو عليه سوى أيام الشتاء الأخيرة .
انها ذكريات مدرسية ...

مصطفى : كنا معا ...

الأخضر : ... فى نفس الشتاء ، مصطفى وأنا ، خالطين جماعتينا المتنافستين ، كدليلين يقظين ، عند مغادرة المدرسة التى كنا أيضا أول من يبلغها .

مصطفى : كنت أفكر فى ذلك ، كنت أفكر فى ذلك حتى هذا الصباح . والآن أدركت : لم يكن سيئا أن نعيش سويا ، قبل أن نكتشف لأنفسنا ذاكرة مشتركة ، قبل أن نقدر عمقها المعادل حتى لا يخطر ببالنا أن أحدنا سيكون هنا دائما .

الأخضر : لذلك ، وأنا أفكر فى أيام الشتاء ،
أشركتك فى السقطة القادمة .
عند الخروج من المدرسة ، زمن التدافع بالأيدى
عندئذ كنا نجهل الحكم الصادر من الأعداء
أما الآن
فاننى أشعر بدمائى تتدفق
لرؤية رجال لم يتغيروا . منذ الطفولة ،
وأنا أنظر اليهم على أنهم أعداء . كانت الكراهية
تخنقنى منذ ذلك الحين ،
الكراهية والحاجة
لأن أصادفهم يوما وجها لوجه
لكى أعلم اذا كانوا حقا قد هزمونا .

مصطفى : منذ الطفولة ونحن نعلم أنه يجب أن نهزمهم ومنذ استطعنا أن نجرى أخذنا النبال ولذنا بالأدغال ولم يجدهم شيئا أن يعلموا بضرباتنا قبل وقوعها . ولم يغنهم شيئا أن نهلك نحن بدلا منهم .. ان قبرنا سوف يخصص لهم

أبدا . سيتساقطون مثل الذباب بتأثير غيابنا
فقط . كيف يمكنهم الحياة بدوننا ؟ .

(قسما الكورس يرددان كل فى دوره .)

« ... كيف يمكنهم الحياة بدوننا ؟ بتأثير غيابنا
فقط سيتساقطون مثل الذباب . كيف يمكنهم
الحياة بدوننا ؟ » .

(وهكذا فان صـــوت السجين انحرف متجها الى كورس الجمهور الذى يردده فى صدى ، مشيرا فى نهاية هذه الفقرة الى السجناء وجلاديهم فى نفس الوقت ، بينما نهاية الفقرة كانت تتضمن معنى واحدا فى فم مصطفى ولا تشير الا الى الجلادين . صوت الأخضر يلى حالا صوت الكورس .)

الأخضر : ترى هل قرب الموت يجعل غضبنا أكثر هولا ،
ترانا نعيش أحلام طفولتنا الحربية
أهى الحرب يا ترى أم هو حلم ؟
منذ مائة عام وهم يجردوننا من السلاح .
لا يكاد يبقى سوى ما نذهب به الى الصيد ...

قسما الكورس : (وهما يرددان نهاية هذه الفقرةكل فى دوره) ـــ
« لا يكاد يبقى سوى ما نذهب به الى الصيد ..
منـــذ قرن وهم يجردوننا من السلاح . أهى
الحرب يا ترى أم هو حلم ؟ » .

(الصمت يحل ، وصوت حسن يعود فى هدوء .)

حسن : (فى دمدمة) الا تستطيع أن تنام قليلا ؟ .

مصطفى : النعاس لم يعد من طبيعة هذا العالم
بالنسبة لمن سيرى الفجر العارى تماما
كعاشق يتحدى الليل سباقا ...

قسما الكورس : (وهما يرددان كل فى دوره) كعاشق يتحـدى
الليل سباقا ... بالنسبة لمن سـيرى الفجر
العارى تماما ، النعاس لم يعد من طبيعة هـذا
العالم .

حسن : (فى صوت واحد مع مصطفى ، فى ثنائى يعيد
جمع قسمى الكورس الذى يلازم مارجريت) .
ونحن رفاقه فى الزنزانة
نسهر على نفس الأخضر المتعجل دائما ،
نفس الأخضر الذى يعوزه الزمان والمكان ،
ها نحن نتعثر أمام نظرته ،
مبهورين فى خلية المعدن المتأجج الذى يخترقه
لحظة الارتقاء
حيث رأسه يجتذب الصاعقة
ويجعل البنادق تخر وتنحنى

(عند نهاية هـذا البيت الأخير ، صوتا حسن ومصطفى المختلطان يصنعان ثنائيا يعيد الجمع بين قسمى الكورس حول مارجريت . الكورس كله يردد عندئذ الفقرة كلها ، مخاطبـا مارجريت الصامتة . ثم يقوم الكورس بسرعة بغزو السجن ويظل مختفيا عن الأنظار بينما مارجريت باقيـة وحـدها فى الشارع . ويعود صوت الأخضر من جديد) .

الأخضر : ان شعورى يزداد بالظلم الشامل
الآن وقد أصبحت اقل كلمة
تزن أثقل من الدمعة
اننى أرى بلدى ، وأرى أنه فقير
أرى أنه ملىء برجال هوت رءوسهم

وهؤلاء الرجال أراهم واحدا واحدا فى رأسى «
لأنهم أمامنا ، والوقت ينقصنا للسير وراءهم .

(الكورس كله وهو لا يزال خافيا عن الأنظار ،
يردد هذا البيت الأخير :)

« لأنهم أمامنا ، والوقت ينقصنا للسير وراءهم » !

(بعد فترة يعود صوت الأخضر من جديد) .

الأخضر : فى كل عام ، لدى كل موجة عميقة
لأشباحنا المطعومة عبثا
تكون نفس الفطسة فى الصخرة
يكون هلاك جديد
دائما ما يطول الحزن عليه
ولكن قلما تنوح أرواحنا
لأننا نمسك الزمن جريحا بين أسناننا
كمثل الكثيرين من المفكرين الشبان .
المغمورين فى المعابد .
لأنه من وراء الأنصاب تصلنا
ألوان من العذاب خطيرة
تعكر صفو موتنا فى ينبوعه .

(فى هذه اللحظة تهل مجموعة من الجنود وتنسل
داخل السجن . يخرجون منه حالا ، قابضين
على ثلاثة مجهولين يعدمون رميا بالرصاص بطريقة
رمزية فى الشارع على ضوء كشاف يدل على بزوغ
النهار . ثم يغادر الجنود المسرح . ويخرج الكورس
من السجن لكى يدفن ، بالحركات ، الجثث
الثلاث ، الكورس ، وهو يترنم بصلاة الموتى ،

يتنظم فى صفين على جانبى الشارع كسابق عهده ، حول مارجريت ، التى لا تزال فى الانتظار فى أثناء هـــذا الوقت يكون الكشاف قد كف عن ارسال ضوئه على المعدمين الثلاثة لكى يعلن حلول الفجر للأخضر ، الذى يبقى الآن وحيدا .)

الأخضر : لقد حان الوقت . فليتركونى لأرى النهار حتى لو لم يكن هناك الا الوقت لطرد الأفكار السوداء هـــذا هو الوقت الذى لا يكون للمرء رأس فيه . غزو مفاجىء ، كل ما كنت أسعى اليه كان يسعى الى ! ها نحن تحت الريح المضادة .. محكومون بغليل لا يشفى .

قسما الكورس : (يردادن كل فى دوره) : ها نحن تحت الريح المضادة .. محكومون بغليل لا يشفى .

(ضابطان يدخلان السجن . من المسرح نسمعهما وهما يعذبان الأخضر) .

الضابط الأول : سينفذ فيك حكم الاعدام وأنت فى زنزانتك .

(صراخ الأخضر . الكشاف الهائم يمسح جدران السجن ، بينما قســـما الكورس يرددان بطريقة حزينة .)

الكورس : « وأنت فى زنزانتك سينفذ فيك حكم الاعدام ، سينفذ فيك حكم الاعدام وأنت فى زنزانتك »

(بعـــد صمت طويل ، نسمع الضباط يعاودون الاستجواب)

الضابط الأول : أنظر اليه . ما أغرب نظراته ... أنا لم أر هذا اطلاقا .

الضابط الثانى : (مخاطبا الأخضر) لاحظ جيدا أننا نفعل هذا كمجرد شكليات . ان الرئيس ينوى أن يعدمك . هيا ، تكلم ! .

الأخضر : (صارخا فى مكبر الصوت) أهذا هو اعدامكم ؟ أهذا هو ؟ عليك أنت أن تتكلم . هيا ، تكلم ! .

(رئيس البوليس يدخل السجن بدوره . انه ضابط بلا زى رسمى . عند دخوله يسمع الأخضر وهو يصرخ بأعلى عقيرته . صمت . ثم نسمع نهاية الاستجواب) .

رئيس البوليس: اذن ، ألم تنتهيا منه بعد ؟

الضابط الأول : يبدو أنه فقد صوابه . ان أعمال التعذيب فى شخص على شاكلته ، مع احترامى لسيادتك ، لا تفيد شيئا . انهم متعودون على ذلك .

الرئيس : انه مقضى عليه بالهلاك . سيظل يشاهد رؤى طول حياته . سوف يصرخ كالممسوس . فليعد الى أصدقائه . فليعد الى أمه . عندما يرونه سيفهمون .

(الأخضر يغادر الزنزانة بدون حرس . يترنح فى الشارع الغاص بالناس ، بين قسمى الكورس ، أمام الشبح الرمزى الذى يمثل العدو : انها مارجريت التى يرهقها الكورس المتجمع بالتهكم والسخرية) .

الكورس : (وهو يشير الى مارجريت)

ها هى الباريسية
روح المدينة المفتوحة
ابنة الجلاد

باقة المعدومين الشنيعة
ها هى الباريسية
الألفية البسيطة الساذجة
الجاهلـــة
القاســية
أبنة الجــلاد
انها تأخرت ، تأخرت كثيرا .
فى اللحاق بمعسكر الضحايا .
ها هى الباريسية

(الأخضر يمسك مارجريت من ذراعها . ولما كان الكورس يواصـــل دمدمته فان الأخضر يرد عليه ، وهو يسحب مارجريت) .

الأخضر : (مشيرا الى مارجريت)

لقد تأخرت ، لقد تأخرت كثيرا
فى اللحاق بمعسكر الضحايا
أبدا لن أحبها أبدا!
لكننى أسفت عليها دائما

(المظهر العادى للشارع . باعة . نسوة محجبات يتسوقن . الأخضر ، زائغ النظرة . البائع أمام شجرة البرتقال) .

السيدة : ها هو الأخضر ! بلحمه وعظمه . ويقولون انه مات .

البائع : برتقال حلو

برتقال مالح
برتقال نصف حلو ونصف مالح
بالواحدة ، بالكيلو . برتقال !

السيدة : برتقالتين .. يا رجل ! زنهما ! أنت تفضل البيع بالواحدة .

البائع : (مراوغا) اذا كان الأخضر هو الذى يدفع ...

الأخضر : (الذى سمع من بعد غير قليل) . ايه ؟ ماذا ؟ .

السيدة : (مخاطبة البائع) خذ نقودك .

الأخضر : (وقد وصل قريبا من العربة) ماذا تريدان منى ؟ .

السيدة : (بصوت خفيض) اتبعنى ، يا الأخضر ، سأعيد اليك صوابك .

الأخضر : (وهو ما زال شاردا) لم أسمع .

السيدة : (وهى تمسك الأخضر من يده) هيا بنا .

(يبتعدان .)

السيدة : من أنا فى رأيك ؟ .

الأخضر : أختى ، أو أخت شخص آخر ، لا يهم .

السيدة : ماذا حدث لنجمة ؟ .

الأخضر : (وعيناه مرفوعتان الى السماء) فيما مضى كانت الدب الأكبر . بعد ذلك نمت . كيف يمكن أن نميزه فى وضح النهار ؟ .

السيدة : (فى حزن) ها انت ذا قد تغيرت كثيرا ... (على حدة) كنت أفضل أن أجلس على نصبه ، بدل أن أراه يتعثر كالأعمى أو كالمجنون . اللهم أنزل الليل عليه ...

(جميع الأضواء تنطفىء لحظة . عندما تضاء من

جديد ، يتضح أن المرأة المتشحة هي « نجمة » . الأخضر اختفى في الكواليس . نجمة هذه المرة في صحبة مارجريت وطهار) .

طهار : (في أشد حالات السكر) اليمام يؤكل صفيرًا ونيئًا .

نجمة : أيها الثعلب العجوز ذو السحنة الكريهة .

لست أدري ما الذي يمنعني من تحطيم أسنانك .

لا شيء سوى ضربة بسواري .

تعالي ، يا مارجريت ، هذا الرجل لا يعنيني في شيء ، مع أنه سبب شقائي . لا تردي عليه التحية .

(بينما المرأتان الشابتان تنسحبان ، يظهر الأخضر الذي يذهب رأسا الى نجمة)

نجمة : (مرتعدة) تعالي ، يامارجريت ! لنرحل ! .

الأخضر : عفوا ، يا أختاه ، الى أين تذهبين ؟ .

(وهي تحول عينيهـــا) انه مجنون ! لا أريد أن أراه .

(في هذه اللحظة ، طهار الذي كان مســـتخفيا في أقصى المسرح ، يقترب خلسة) .

طهار : (منفجرا) يا للسماء ! لقد أطلقوا الأفعى ! .

(طهار ينقض على الأخضر ويطعنـــه . المرأتان والقاتل يهربون في اتجاهات مضـــادة . الأخضر يترنح متجها الى شجرة البرتقال ويظل متعلقا بها حتى لا ينهار . الجمهور ينتشر حوله .)

رجل : (مشفقا) تعس آخر يولي ...

الأخضر : (وهو لا يزال متعلقا بشجرة البرتقال .) ايه يا رجل ! اتبكي لأن الثورة تحطمت ؟ لا تبك .

رجل آخر : أهلي جميعهم ماتوا محروقين . المنزل اصبح رمادا . ان هذا العام يبدأ وينتهي بالشر ...

الأخضر : (وهو يكافح الهـذيان) سننام سويا ، عندما تتركني الشجرة أسقط .

سـيدة : أنا كان لى ولد اسمه فقط بغيض على ...
ان اسم الولد التـائه ، وهـو قد أرتد حتى عضوى الحساس وأنا فتاة ، هذا الاسم يزداد ثقله فى أحشائى .
أكثر من الوقت الذى كان ينام فيه فى مأواه
قبل أن يفصل عن الكرة الجسدية ،
مضطرا الى النزول الى الأرض
فى هذه الصحراء التى يسد فيها رمقه من فمى
واننى لأبغض حتى الاسم الذى يطلقونه عليـه
لينزعوه مرة أخرى من عضوى الحساس
واننى لم أعد أترصد سباق السنين
بالرغبة القديمة فى السعادة
أنا التى فقدت ثلاثة فصول من أربعة
لكى تنجب وحشا هاربا .

(الجمهور يشكل كورسا ينتظم على جانبى الشارع ، الرجال والنساء يقفون فى مواجهة بعضهم البعض ليشكلوا قسمى الكورس . النساء فقط يرددن فى صوت واحد الفقرة السابقة وقد قمن بالصراخ والعويل الذى تقوم به الأمهات . السيدة التى كانت قد تحدثت الى الأخضر تواصل سرد أسرارها التى ما زال يرددها فى صدى حتى الآن كورس النساء) .

نفس السيدة: (مخاطبة الأخضر) وما أن شب عن طوقه حتى

رحل الى فرنسا ، ولكننى أعلم أنه عاد ...
انه لا يقوم بزيارتى أبدا ، وهـو يصر على أن
يحيا فى الشارع مثل قاطع الطريق .

(هنا صف النساء لا يكرر سوى نهاية الفقرة ، لكى يوسع مدلولها الأصلى . كل سيدة تخاطب الرجل الذى يواجهها ، وتشركه فى اللوم الذى وجه منذ قليل الى الأخضر) .

كورس النساء : (مخاطبـات رفاقهن من الرجال) ... انكم
لا تقومون بزيارتنا أبدا وتصرون على الحياة فى
فى الشارع مثل قطاع الطريق .

(الأخضر ، وهو ما زال متعلقا بالشجرة ، يرد على اللوم الذى وجه اليه بمفرده من قبل) .

الأخضر : انصرفى أيتها المرأة التعسة ، لديك كل الوقت
الكافى للبكاء .
الزوج والابن بالنسبة لك ليسا سوى شخص
واحد :
لقد مات هذا وذاك ،
قبل أن تنشق الأرض لسقوطك ،
لأنه ما زال هناك زوج أم
يسود ترملك
ويلاحق يتيمك بالأذى .

السيدة : (وهى تقتـرب من الأخضر) ماذا تقـول ،
يا ولدى ، ماذا تقول ؟ أمن الممكن أن يكون
سرى هو سرك أيضا أم ليس هذا سوى هذيان
وهواجس ؟ .

الأخضر : عبثا أتحدث عن نفسى فى الماضى ...

السيدة : (وهى تقترب أكثر) هـل الأخضر مات ؟ لأن الحداد هو ميزتى ، وأنا أوجه عند كل احتضار هذا السؤال القاسى .

الأخضر : أبدا لن أستطيع أن أطمئنك .
أنا آخر الفلاحين
لست أدرى ما الذى يقيدنى
الى شجرتى المضحى بها
أهو الرجل الذى كنته
أم الخنجر الذى يحل مخلىَ

(هنـا قسم الذكور من الكورس يخاطب صف النساء مكررا بداية الفقرة السابقة) .

كورس الرجال : (مخاطبا النساء)
أبدا لن نستطيع أن نطمئنكن
نحن آخر الفلاحين
لا ندرى ما الذى يقيدنا
الى أشجارنا المضحى بها ..

(الأخضر يكرر هنا كل الفقرة التى يختمها الى أمه التى تثبت شخصيتها الآن .. انهـا المرأة التى اقتربت منه) .

الأخضر : أبدا لن أستطيع أن أطمئنك
أنا آخر الفلاحين
لا أدرى ما الذى يقيدنى
الى شجرتى المضحى بها
أهو الرجل الذى كنته
أم الخنجر الذى يحل مخلى
.. ماذا عساها تجنى هنا أرملة أبى

حين تعلم أنني قتلت
بيد الزوج الثاني الذي لم تختره ؟
هل رأيت الأفاعي التي تسعى الى اللذة
وهي تعض بعضها البعض وسط التبن ؟
هكذا ذاكرتي
تتحرك خلال القتل والمنفى
وهذا الخنجر الذي يدفعني الى الشجرة
هو الانبهار الذي يستهوي العقرب الشاب
انا المطوق في دغل منبتي ، لا ادين بشيء لزوج
أمي .
ولا حتى بالاغتيال ، ولا حتى بمنة القربان
لأنه أبعد من أن يكون ابراهيم الخليل ، وأنا
لست سوى قط
علقته بومة فوق أوهى غصن
لا أنتظر الا أن أسقط منه لكي أعمى الطائر
النهاري
في ورق الشجر الذي يظن أنني غاف فيه

(قرع طبلة . الجمهور الهائج يخلي المسرح .
لا يبقى سوى الأخضر الذي لا يزال متعلقا) .

صوت الكورس : (متشتتا من بعيد)

أيها المجاهدون من حزب الشعب !
لا تغادروا ملاجئكم !
ساعة المعركة لا تزال بعيدة .
أيها المجاهدون من حزب الشعب !

(مصطفى وحسن يدخلان المسرح وهما يتحادثان) .

مصطفى : فلنرحل . فلننسحب الى الجبال .

حسن : الفلاحون سيقدمون لنا المأوى .

مصطفى : هيا نعد تكوين قواتنا .

حسن : سيغدون أكثر اصرارا وعنفا .

مصطفى : (متوقفا عن الحركة) . توقف .. أليس هذا هو الأخضر ؟

حسن : انه هو ، دون أدنى شك ، مصاب مرة أخرى !

الأخضر : سلام عليكم ، سلام ! لا ترحلا دون كلمة واحدة ، كمن يتركون ميتا .
... على الأقل اتركا لى تبغا .

مصطفى : لا يمكنك أن تظل على هذا الوضع . (يسير نحو الشجرة ، يتبعه حسن) سنقوم بحملك .

الأخضر : (بلهجة عنيفة) ابقيا حيث أنتما ! (صوته ينهار . يستأنف بصعوبة ، دون أن يخفض نبرته) لم أعد أشعر بالخنجر . اننى أكاد أتوهم أنه مغروس فى الشجرة . اننى كالدرع أرن فاقد الاحساس ، منذ أن أخذنى الموت من كتفى ، فى هدهدته التى لا ترجى . ابقيا حيث أنتما ! اذا أردتما اخراج الخنجر فلابد أن أدير لكما ظهرى ، ولابد من ترك هذه الشجرة ، فى حين اننى أفنى لأحميها من الجليد .

مصطفى : أنت تقف على قدميك ، فى هذا الشنق الارادى ، لكنك ترفض أن تتقدم خطوة الى الأمام !

الأخضر : سل الشجرة . سلها اذا كان بوسعها أن تسير ، أو اذا كان يجب على أن أبدأ السير .

مصطفى : اذن سنقوم بحملك .

الأخضر : لا تحمل سـوى الجثث . اذهبا واتركا لى تبغا ! ...

(قرع طبول)

(صـوت الكورس من بعيد ! ايها المجاهدون من حزب الشعب ! ...)

(مصطفى وحسن ينصرفان من الصديق المحتضر)

حسن : فلنتركه . عبثـا يناضل مع جثتـه . كيف يستطيع أن يتبعنا ؟

مصطفى : أجل ، فلنتركه . اننا فى نظره لسنا أكثر اقناعا من الأشجار ، انه يناضل مع جثته .

(حسن ومصطفى يتفرسـان طويلا فى وجـه الأخضر الكئيب ، الذى يقطع الصمت فجأة ، فى اللحظة التى يغـادر فيها حسن ومصطفى المسرح فى بطء ، كما لو كانا يشيعان جنازة غير حقيقية) .

الأخضر : وداعا ، أيها الرفاق ، ما أفظع الشباب الذى عشناه !

(هنا تدخل أم مصطفى ، باحثة عن ولدها الذى رحل الى المنفى . تتلمس طريقها امام الشجرة دون أن ترى الأخضر . ترتدى القميص الأزرق الخاص بمستشفى الأمراض العقلية . شعرها الذى لا يكاد يخطه البياض منتصب فوق رأسها . نظرتهـا الزائغـة لا تتوقف عند شىء . هيكلهـا المتكسر وحركات الهـا تخلو تماما من علامات الانوثـة . صوت الطيور المشئومة يتخلل هذيانها فى بعض الأحيان . تنطلق كلمة « مصطفى » ! بصوت مختلف دائما ، وكأنها تستطيع من خلال هذا الاسم الذى

تنطق به فى عبارة سحرية ، أن تمسك صورة ولدها المتبددة)

الأم : مصطفى ! مصطفى ! (صياح الطيور) مصطفى !

الأخضر : انه لا يزال هنا . ينتظرنى فى هذا العالم ، وأنا أنتظره فى العالم الآخر .
اننا نقضى حياتنا يودع كل منا صاحبه .

الأم : (وهى لا تزال فىحالة تنويم مغناطيسى) مصطفى ! مصطفى ! (صياح الطيور) .

الأخضر : (مرددا كالصدى) مصطفى !

(صياح الطيور المشئومة ، ينتهى بتغريد الربيع . المجنونة تجمع حواسها مطأطأة الرأس ، ثم يرتفع صوتها ، خفيفا ممزقا ، فيردده كورس النائحات الذى يستخفى عن الأنظار .)

الأم : (وهى تجلس القرفصاء أمام شجرة البرتقال التى تسند الأخضر)
فوق مقعد المستشفى الكبير
أنا المجنونة الهاربة
أرملة مؤجلة ، وأم فى المحجر الصحى .

(صياح الطيور يصدره كورس النائحات ، الذى يكرر الفقرة السابقة ، ثم يستأنف الحوار بين الأخضر الذى يحتضر وأم مصطفى) .

الأم : (وهى تتابع سيرها المتعثر حول الأخضر)
تركت اللبؤات يكبرن
دون أن أستطيع تمشيط شعورهن.
الطيور نبأتنى بذلك !
لابد أنهم ذبحوا الولد

وقصوا للبنات شعورهن تماما
فى ذكري الأم المخبولة
والطيور وهى تقفز ، تسخر
تسخر منى ، تسخر
من الابن الذى ينتظرنى فوق المقعد
فوق مقعد المستشفى الكبير .

الأخضر : انه كان ينتظرنى أيضا
فى المكان الذى تهذى فيه أمه
دون مراعاة لمشنقتى الخضراء
وبدون كلمة ، وكذلك هجرنى
ليحتضن أشجارا أخرى
هكذا نجومنا تتتابع
نساء ورجالا ، أجسادا ومتاعا :
لا شيء يقاوم الرحيل
وأم شخص آخر أصبحت أمى
فى هذا الهجران الثلاثى المنحوس !

(كورس الرجال المستخفى عن الأنظـــار يكرر من بعيد)

الكورس : الليل يهبط ، وعالمنا كله ينحنى
على نافذة العدم !
فلنمسك عن قذف المجنونة بالحجر
هى التى نهضت لتغلق النافذة
ولذلك فان عينيها تالفتان

الأم : (وهى تسقط وتنهض فى فرارها) .
الليل هو سبب سقوطى
والطيور تسخر

(مكبر الصوت يصيح معلنا : « صدمة كهربية ! صدمة كهربية ! صدمة كهربية ! بينما تضىء الشجرة بلمحة من صاعقة ، وفى نفس الوقت يسمع صياح الطيور المشئومة)

تسخر منى ، تسخر ...

(بينما أم مصطفى تقفز الى خارج المسرح ، الكورس كله يردد) .

الكورس : هكذا نجومنا تتابع
رجالا ونساء ، أجسادا ومتاعا .
لا شىء يقاوم الرحيل

(الريح تأخذ فى الهبوب ، بينما الأخضر يتشبث بالشجرة ، فى محاولة أخيرة) .

الأخضر : دون مراعاة لمشنقتى الخضراء

(فيض من الرجال ، وفيض من النســاء قد مروا موكب حزين فيه الموت هو الذى يســهر ويتابع الغائبين) .

(الضوء ينطفىء . الريح تهب أشد قوة . انها ريح الموت . البــائع وعربته يدخلان المسرح ، وقد سلط عليهما ضوء خافت . الأخضر والشجرة دخلا فى الظلام) .

الأخضر : كل العقوبات عقوبات قصوى
بالنسبة لمن يبلغ المركز
مركز القدر
هنا هبت ريح تخلصنى، ولسانى الذى فسد أخيرا
مع النباتات المائية سيغذى الفضاء المترامى

هنا يجب أن نقيء كل شيء
الآلام ، الهموم ، الأوهام ، والعلوم
وكمثل المحيط يجب على أن ألفظ كل شيء
دون أن أحتفظ بلؤلؤة ولا جثة
ولابد لى من أن أنتقل الى الاعترافات
اذا أردت أن أرحل الى الخواء
الى الطرف الآخر من المصير
حيث لا يدخل قناع مأساة
ولا جمهور ولا عابر سبيل ،
الى قلب الارتفاعات العفيفة الطاهرة
حيث القبلة تفيض فى نجمة
حيث عرف الطائر يبدأ فى عقبه
حيث العلم يكون بارقة مخلصة
والحب ليلة واحدة بلا ذكرى

(ظلام . ضوء . دقات جونج متصلة . البائع نائم تحت الجدار . الأخضر مستند الى الشجرة)

الأخضر : ايه أيها النائم !

البائع : (دون أن يرفع رأسه) استمر فى الكلام يا ولدى . أنا لا أعتقد كثيرا فى الأشباح . بوسعك أن تختفى وراء الأشجار . لقد تعديت سن الخوف .

الأخضر : (من بين أسنانه)

دائما فى لحظات الاعتراف يبدو المسرح خاليا .
ليكن . أنا وحدى سأجمع الى الزنزانة .
من بين جميع الغائبين الذين لا يشفع لهم عندى شيء ، واحد فقط لا يزال يثقلنى انه أبى الذى

حملوا جثتـــه فى ملاءة بينما كنت أنتظر منـــه خاتمة حكاية وحلم مختلطين .
ذات يوم كان قد غار فى الخمارات ، فى صحبة بعض السكيرين والقتلة . كانوا جميعا يبحثون عن أجنبية بارعة الجمال رفيعة الثقافة ، على درجة من الجمال والتحفظ حتى أن أصدقاء والدى تطاحنوا حتى الفجر ليمهدوا لأنفسهم طريقا بين الجمهور ويلحقوا بها ، فى الفندق الرائع الذى كان يستقبلها فيه عشيقها . كان الغيظ والحنق يأكلان والدى ، وهو يقتفى أثر المرأة التى كانوا يتبعونها باحترام فى الأفراح ... فى ذلك اليوم ، أصيب اصابة بالغة فى وجهه من موسى القـــاه عليـــه رجل عجوز من احدى النوافذ ، بينما كان يترقب الغانيـــة غـير المهتمة ، وكان يلقى فى لحى أصدقائه سيلا من الدماء الكثيفة المتقـــدة . وأنا أيضا ، لم استطع أن أمنع نفسى من اطلاق الصراخ الفظيع ؛ ليس الا لأخفف عن نفسى وطأة عار أبى وأهوائه التى لا نهاية لها لأننى كنت حديث الولادة ، وكنت أصرخ صـــباح مســـاء ، كأننى أشير الى الرجل الخسيس الذى كان يأخذنى بين ذراعيه لكى يعرضنى أمام مثار غيظـــه وحقـــده .. تلك الأجنبيـــة التى كانت لا تنفك عن الظهور فى نافذتها فى الساعات المتأخرة التى كنت أصرخ فيهـــا من النعاس ، ليظهر أمامهـــا عاطفـــة الأبوة ... وأخـــيرا ، نزلت بخطوة سريعة ، الأجنبية بنفسها ، بوجهها العكر ، وحركاتها

التى كان الجمهور يرقبهـــا كما يرقب أحد الطقوس الدينية ، المرأة ذات العطر المجهول التى أحاطتنى بذراعيهـا ، بينما أنا أستحلب أثقل أثدائها وأجملها (كان يبدو لى أن لها أثداء كثيرة ، ما دامت أمى المسكينة لم يكن لها سوى اثنين) .

وبينما أبى المتسمر أمام الأجنبيـة التى كانت تهدهـدنى وهى تبتسم وأناس آخـرون كانوا يتوقفون عنـد هـذه اللوحة الغريبة ، كان أبى يغيب فى صمت يملؤنى تأنيبـا وغـيرة ، أنا ابن السنوات الست الذى مسته العاطفة الأبوية الى هذا الحد الخطير ، أنا الذى كان أعنف غريم لوالده بينما لم تكن أسنانى قد اكتملت ، أنا الذى لم يسلم أبدا بأن الأجنبية قد اختفت وأن أبى قد حمل فى غطائه ، فى الوقت الذى كنت ألعب فيـه مع نجمـة فى الشارع ، نجمة ابنة الأجنبية التى كان أبى قد اختطفها .

(على اثر هذه الكلمة ينهار الأخضر أمام شجرة البرتقال التى أصابتها الصاعقة . الأضواء تنار من جديد . « على » ، الذى تلاحقه نجمة ، يتسلق شجرة البرتقال . دفات متصلة من الجونج . جثة الأخضر تختفى شيئا فشيئا تحت سحابة من الأوراق الميتة . « على » جالس مباعدا بين ساقيه فوق قمة شجرة البرتقال . يقوم بقص غصن ذى شعب ليصنع منه نبله) .

نجمة : انزل من عندك ! انزل !
هيا ، انزل . واعطنى هذا الخنجر

علی : انه خنجر أبی .. انه خنجری .

نجمة : وجیوبك المحشوة بالبرتقال المر ! الق بهذا . الم أقل لك مائة مرة ان هذا البرتقال مسمم ؟ هیا ، انزل .

(علی لا ینزل . یخرج برتقالا من جیوبه ، یضعه فی نبلته ، ویصوب جهة الجمهور ، وابل من البرتقال فی صالة المسرح . الستار یسدل مخرما من اثر ضربات النبلة ، بینما صوت الکورس یدمدم من بعید : « أیها المجاهدون من حزب الشعب . لا تغادروا مخابئکم » ظلام . ضوء دقات جونج متصلة) .

ملتزم التوزيع
فى الجمهورية العربية المتحدة وجميع انحاء العالم
الشركة القومية للتوزيع

مكتبات الشركة بالجمهورية العربية المتحدة

١ ــ فرع شريف	٣٦ شارع شريف	تليفون ٤٠٠١٢	القاهرة
٢ ــ فرع ٢٦ يوليو	١٩ شارع ٢٦ يوليو	٥٥٠٣٢	القاهرة
٣ ــ فرع ميدان عرابى	٥ ميدان عرابى	٤٩٣٨٣	القاهرة
٤ ــ فرع المبتديان	١٣ شارع محمد عز العرب	٣١١٨٧	القاهرة
٥ ــ فرع الجمهورية	٢٢ شارع الجمهورية	٩١٠٧٤٢	القاهرة
٦ ــ فرع عابدين	١٤ شارع الجمهورية	٩١٤٢٢٣	القاهرة
٧ ــ فرع الحسين	ميدان الحسين		القاهرة
٨ ــ فرع الجيــزة	٢ ميدان الجيزة	٨٨٨٣١١	القاهرة
٩ ــ فرع أسوان	السوق السياحى	٢٩٣٠	أسوان
١٠ ــ فرع الاسكندرية	١٩ ش سعد زغلول	٢٥٩٢٥	الاسكندرية
١١ ــ فرع طنطا	ميدان الساعة	٢٥٩٤	طنطا
١٢ ــ فرع المنصورة	ميدان المحطة		المنصورة
١٣ ــ فرع أسيوط	شارع الجمهورية		أسيوط

مراكز ووكلاء الشركة خارج الجمهورية العربية المتحدة

١ ــ مركز توزيع الجزائر	شارع بن مهيدى العربى رقم ١١ مكرر	الجزائر
٢ ــ مركز توزيع لبنان	شارع دمشق	بيروت
٣ ــ مركز توزيع العراق	ميدان التحرير	بغداد
٤ ــ عبد الرحمن الكيالى	شارع ٢٩ آيار ــ دمشق	سوريا
٥ ــ الشركة العربية للتوزيع	ص ٠ ب رقم ٤٢٢٨ بيروت	لبنان
٦ ــ قاسم الرجب	مكتبة المثنى ــ بغداد	العراق
٧ ــ رجا العيسى	وكالة التوزيع ــ عمان	الأردن
٨ ــ عبد العزيز العيسى	دار التوزيع ص٠ب ١٥٧١	الكويت
٩ ــ وكالة المطبوعات	الكويت	الكويت
١٠ ــ مكتب الوحدة العربية	شارع عمرو بن العاص ــ ليبيا	بنغازى
١١ ــ محمد بشير الفرجانى	٥٣ شارع عمرو بن العاص	طرابلس
١٢ ــ الشركة الوطنية للتوزيع		تونس
١٣ ــ وكالة الأهرام	شارع الرشيد	عدن
١٤ ــ المكتبة الوطنية	المنامة ــ الخليج العربى	البحرين
١٥ ــ مكتبة العروبة	ص٠ب ٤٢ و ٦٤	الدوحة
١٦ ــ عبد الله حسين الرستمانى	المكتبة الاهلية ص٠ب ٢٦١	دبى/عمان
١٧ ــ المكتبة الحديثة	ص ٠ ب ٢٧	مسقط
١٨ ــ أحمد سعيد حداد	المكتبة الوطنية ص٠ب ٢٥	المكلا
١٩ ــ مكتبة دار القلم	شارع عبد الغنى ميدان التحرير	صنعاء
٢٠ ــ على ابراهيم بشير	ص ٠ ب ٨٢	أسمرة
٢١ ــ عبد الله قاسم الحرازى	ص ٠ ب ١٧١٤	اديس ابابا
٢٢ ــ مكتبة ستر	ص ٠ ب ٩٣٦	مقديشيو
٢٣ ــ عبد الله عامر محمد	ص ٠ ب ٨٤٥	جيبوتى
٢٤ ــ مكتب توزيع المطبوعات العربية	لندن	لندن
٢٥ ــ المكتب التجارى الشرقى	٤٥ ش كندهار ص ٠ ب ٢٢٠٥	سنغافورة
٢٦ ــ مكتبة مصر		الخرطوم
٢٧ ــ مكتبة النيل		وادى مدنى
٢٨ ــ زكى جرجس بطرس	ص٠ب رقم ١٥٥	الخرطوم
٢٩ ــ ابراهيم عبد القيوم	مكتبة القيوم ص ب ٤٨٠	بور سودان
٣٠ ــ عوض الله محمود دبورة	مكتبة دبورة ص٠ب ٢٤	عطبرة
٣١ ــ عيسى عبد الله	المكتبة الوطنية ص ٢٤٥	وادى مدنى
٣٢ ــ مصطفى صالح	ص٠ب ٤٤	كوستى

أسعار البيع للجمهور فى الدول العربية

سوريا ١٠٠ قرش سورى ــ لبنان ١٠٠ قرش لبنانى ــ الأردن ١٠٠ فلس ــ العراق ١٠٠ فلس ــ الكويت ١٢٠ فلس ــ السودان ١٠٠ مليم ــ ليبيا ١٠٠ ملم ــ قطر ١٥٠ درهم ــ البحرين ١٥٠ فلس ــ عدن ٢٠٠ سنت ــ أديس أبابا ١٠٠ سنت ــ أسمرة ١٠٠ سنت ــ الجزائر ١٥٠ سنتيم

دائرة الانتقام

كاتب ياسين : ولد سنة ١٩٢٩ فى احدى قرى مقاطعة قسـطنطينية . اصدر سنة ١٩٤٦ مجموعة شعرية بالفرنسية سماها « نجوى » .. لفتت اليه أنظار ادباء فرنسا وفى سنة ١٩٤٧ رحل الى باريس ونشر قصيدة عنوانها « نجمة » ثم عين مراسلا لصحيفة « الجزائر الجمهورية » عاد الى الجزائر واشتغل بها حمالا ثم عاد الى باريس وأصدر روايته المشهورة « نجمة » .. ثم اشترك فى حركة التحرير ضد الاسـتعمار الفرنسى وعرف المناضـلين الجزائريين وعاش خلافاتهم وتجاربهم فانعكس أثر ذلك على مسرحياته .

وفرض كاتب ياسين نفسه على ميدان الأدب والثقافة الفرنسية وأصبحت أعماله جزءا لا يتجزأ من الأدب الفرنسى الحديث . وان كان أدب كتاب الجزائر مدونا باللغة الفرنسية فانه فى الحقيقة أدب عربى أصيل .

الأسلاف : أكثر أعمال كاتب ياسين أصالة ونضجا ... وضع فيها خلاصة تجاربه كما جاور فيها بين عنصرى الفكر والانفعال .. فاكتسب الانفعال عمقا بمقدار ما اكتسب الفكر حرارة .

ودارت أحداث المسرحية فى الجزائر منذ عشرين عاما . وبطلها « الأخضر » حبيب « نجمة » الذى يخرج من السجن مصابا بالجنون من أثر التعذيب .. وتحاول « نجمة » أن تعالجه ولكنه يلقى مصرعه فتصـاب نجمة بجنون .. ولكنه نوع غريب فى هذه المرة .. انه جنون نسيت فيه حبها وأقسمت أن تنتقم لكل دقيقة من « عمر الأخضر » .. ومن هنا ولدت اسـطورة « المرأة المتوحشة » .

مسحوق الذكاء : استخدم هنا كاتب ياسين مجموعة من نوادر « جحا » وحمل كل نادرة منها مضمونا سياسيا ثوريا ، يهـاجم الحكم المطلق وتجار الدين والمال .. كما سلط الأضواء على أهم ما يطبع حياة الغالبيـة من أبناء الشعب الجزائرى ..

الجثة المطوقة : هى تذكار حى لثورة الجزائر ــ لحرب التحـ

صور فيها الكاتب صراع الفلاحين ضد الاحتلال التركى الذى
الفرنسى للجزائر .. وفى هـذه المسرحية نرى « نجمة ومصطفـ
ينتظرون عودة « الأخضر » ليحمل راية المقـاومة .. نراهم
لغيبة « الأخضر » ..

« والأخضر » بطل « الجثة المطوقة » رمزا انسانيا لثوار الجزا



الثمن ١٠ قروش **دار الكاتب العربى للطبـ**